الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⴰⵏⴰⵡⴰⵙ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ

ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⵎⴻⵔⵉ ⴷ ⵜⵉⵣⵉ ⵡⵣⵓ

ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ

Université Mouloud Mammeri de Tizi-Ouzou

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

Département de Langue et Littérature Arabes

جامعة مولود معمري؛ تيزي –وزو

كليّة الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربيّة وآدابها

الرقم ...../ ...../ 2019

رقم الترتيب:

الرقم التسلسلي:

مذكرة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب مقارن وعالمي

عنوان المذكرة

المرأة المسلمة بين المستشرقين والمسلمين

–محمد بن مصطفى ابن خوجة أنموذجا–

إعداد الطالبة

سليماني صبرينة

إشراف الأستاذ:

الحاج بنيرد

أعضاء لجنة المناقشة:

–د/ العباس عبدوش، أ محاضر صنف (أ)، جامعة مولود معمري تيزي – وزو.....رئيسا

–د/الحاج بنيرد، ا محاضر صنف (أ)، جامعة مولود معمري تيزي – وزو.....مشرفا ومقررا

–أ/احمد خياط، أ مساعد (أ)، جامعة مولود معمري تيزي – وزو.....مناقشا

الموسم الجامعي: 2018م–2019م

كلمة شكر

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الإنسان وعلمه البيان

ونحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا في إتمام هذا العمل والصلاة والسلام

على الهادي المصطفى أما بعد:

أتقدم بشكري إلى كل من علمني أن العلم فوق الجميع وانّ التواضع تاج لا يلبسه إلاّ الرفيع وأتقدم بشكر خاص إلى الأستاذ المشرف "الحاج بنيرد" الذي تحمل معي أعباء هذا العمل صبرا وإخلاصا، ولم يبخل عليّ بالنصائح والتوجيهات.

وفي الأخير، اشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد في انجاز هذا العمل المتواضع.

شكرا

الإهـــداء

- ❖ الى التي رفع الله قدرها وجعل الجنة تحت أقدامها، ذلك القلب الكبر والى بسمة الحياة وسر الوجود، يا من كان دعائها سر نجاحي، أمي الحنونة حفظها الله واطال في عمرها.
- ❖ الى من سعى وشقى لإنعامي بالراحة والهناء الذي لم يبخل بشيء من اجل دفعي الى طريق النجاح الذي علمني ان ارتقي سلم الحياة بحكمة وصبر،الى والدي.
- ❖ الى كل من دعواتهم كانت ولا تزال سندي، جدي وجدتي.
- ❖ الى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي، إلى إخوتي وأخواتي.
- ❖ الى من سرني سويا وأنا اشق الطريق معا نحو النجاح والإبداع، إلى من تكاتفنا يد بيد، إلى أصدقائي.
- ❖ الى من علموني حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى عبارات في العلم، إلى من صغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا درب العلم والنجاح، أساتذتي الكرام.
- ❖ إلى كل مسلمة أرادت أن تبصر نور الحق والعدل، إلى كل داعية، لتأخذ بيد التائهين إلى طريق الخير، إلى كل مجاهدة في سبيل نيل المرأة حقوقها، كما أعطاها إياها الإسلام.

إلى كل هؤلاء أقدم إهدائي.

صبرينة

مـقدمـة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد الأمين وعلى اله وصحبه والمؤمنين إلى يوم الدين أما بعد:

لقد أصبح موضوع المرأة المسلمة هدفا لإثارة الشبهات حول حقوقها وواجباتها، فلقد وقف الاستشراق من المرأة المسلمة موقف من الإسلام تمام موقف الخصومة، والعداء والكراهية، وكانت المرأة أهم هدف يتواصى المستشرقون بالتصويب عليه والطعن والتشكيك فيه، فقاموا بدراسة جميع جوانبها، ذلك لأنهم أن استطاعوا أن يؤثروا في سلوكها استطاعوا أن يؤثروا في المجتمع المسلم.

فهي مستهدفة في كتابتهم وذلك لإقناعها بأية طريقة أن الإسلام يضطهدها، ولا يعطيها من الحقوق ما يزعمون أن الحضارة الغربية تعطيه للمرأة ناسين أن ما تعطيه الحضارة الغربية المادية بيد تأخذ منه الكثير والكثير حتى أنوثة المرأة وكرامتها امتهنت في هذه الحضارة والاستشراق، ومن ورائه الحضارة المادية الغربية ترى أن المرأة المسلمة مضطهدة من المجتمع.

ولكن هناك من الشخصيات الراقية التي حاولت أن تنقل لنا صورا رائعة عن أحوال المرأة في الإسلام، وذلك للرد على مطاعنهم، ومن أبرز هذه الشخصيات نجد شخصية محمد الخوجة الجزائري الذي تناول موضوع المرأة المسلمة من خلال كتابه الاكتراث بحقوق الانات، وهذا ما دفعني إلى طرح الإشكالية التالية: ما هي المخططات والمقاصد التي يسعى

إليها المستشرقون من خلال دراستهم لقضايا المرأة المسلمة في علومهم؟ وأردفتها بسلسلة من المشكلات الفرعية أهمها: من هو ابن الخوجة؟ كيف كانت نشأته وتكوينه؟ وفيما وأين تجلت اهتماماته بالمرأة؟

الخطة المنتهجة:

وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدت على خطة ممنهجة تشمل على مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين واردفتها بخاتمة وهي على النحو التالي:

أولا: المقدمة وتتضمن أهمية البحث وبواعث اختياره وأهدافه، ثم منهج البحث، والدراسات السابقة والصعوبات التي واجهتني وخطة البحث.

وخطة البحث كالآتي:

فصل تمهيدي: مكانة المرأة.

المبحث الأول: مكانة المرأة عند الغرب.

المبحث الثاني: مكانة المرأة في الإسلام

الفصل الأول: والذي جاء تحت عنوان الاستشراق والمرأة المسلمة، حيث ضم المبحث الأول: الإطار المعرفي والتاريخي للاستشراق: أما المبحث الثاني: فقد تكلمت فيه عن الشبهات التي أثيرت حول قضايا المرأة المسلمة وكيف تم الرد عليها، كما أشارت فيه إلى بعض نماذج المستشرقين المهتمين بالمرأة، أما الفصل الثاني: والذي جاء تحت عنوان: قراءة في كتاب الاكتراث بحقوق الإناث، وقد قسمته إلى مبحثين كذلك، حيث ضم المبحث الأول: التعريف

بشخصية محمد الخوجة الجزائري وقضاياه واهتماماته، والمبحث الثاني: قمت فيه بالتحليل الاستقرائي لكتاب الاكتراث بحقوق الإناث، وخاتمة وهي حوصلة لأهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا.

أهميـة الموضوع وأهدافـه:

-إنّ هدفي الحقيقي لهذا الموضوع هو معرفة النظرة والاتجاه الحقيقي للمستشرقين وذلك من خلال دراستهم واستخدامهم لقضايا المرأة في علومهم.

-الاستشراق له مقاصده ولقد امتد ليصل إلى المجتمعات الإسلامية وله أساليبه ومخططاته التي استهدفت المرأة المسلمة لتحطيم كرامتها وتغييبها عن عقيدتها السلمية لذا لابد من التعريف به.

-محاولة تبصير المرأة المسلمة بما يحاك لها من مؤامرات وما ينصب لها من شراك.

مـنـهـج البحـث:

قمت بإتباع المنهج التاريخي وذلك عند الحديث عن نشأة الاستشراق وتطوره، ومقاصده ووسائله، وبيان أثاره السلبية على المجتمع والمرأة، ثم استعنت بالمنهج الوصفي التحليلي وذلك عند تحليلي لنموذج من نماذج محمد الخوجة الجزائري والمتمثل في كتابه الاكتراث بحقوق الإناث.

أسباب اختيـاري الـموضوع:

فهناك دوافع ذاتية وأخرى موضوعية، الدوافع الذاتية تتمثل في الرغبة في التعرف على هاته الشخصية الجديرة بالدراسة.

وكذلك إعجابا بشخصية محمد الخوجة من خلال قراءتي لبعض مؤلفاته، أما الدوافع الموضوعية فأهمها بالرغم من أن محمد الخوجة من ابرز الشخصيات التي عالجت قضية المرأة الجزائرية إلا أن شخصيته لم تلق دراسة وافية، وبقية محل هاجس للغموض، وهذا ما دفعني في الخوض في مسار هاته الشخصية رغبة في إعطائها ولو القليل من مستحقاتها الشخصية الفعالة وكذلك لإبراز إسهاماته.

صـعوبات الـبحث:

لا يمكن للباحث الوصول إلى غايته ومطلبه بدون صعوبات ومعوقات، ولكن بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى والثقة به ثم بمساعدة مشرف وفقني الله سبحانه وتعالى إلى تحقيق مبتغاته وسهل لي طريق العلم ومن الصعوبات التي واجهتني:

-عدم توفير المادة العلمية التي تهم دراستي، حيث صعب عليا الحصول على مصادره ومراجعه.

-ضيق الوقت.

-لا توجد دراسات سابقة قامت بتناول هذه الشخصية من ناحية هذا الموضوع.

المـادة التوثيـقيـة:

أما فيما يخص المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها فقد كانت متنوعة أهمها: كتاب الاكتراث بحقوق الإناث لمحمد بن مصطفى بن الخوجة، كتاب اللباب في أحكام الزينة واللباس لمحمد الخوجة، كتاب رودي بارت الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، كتاب رجال اختلف فيهم الرأي لأنور الجندي، كتاب شمس العرب تسطع على الغرب زيغريد هونكه، معجم افتراءات الغرب على الإسلام لانو محمود زناتي، غوستاف لويون حضارة العرب، مصطفى كمال اتاتورك في كتابه الرجل الصم.

ومن هنا، ارجوا أن أكون قد وفقت في دراسة هذا الموضوع ورغم اجتهادي في إخراج هذا الموضوع في أبهى حلته وأحسن صورة، إلا أنني على يقين انه يعتريه النقص، ولذا فأنا مستعدة لتقبل النقد الذي يوجه إليّ سواء تعلق بجوهر الموضوع أو استنتاجاته أو غيرها، لان الكمال لله والعصمة للأنبياء، وعزائي في ذلك القول المنثور "من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد ولم يصب فله اجر واحد".

مكانة المرأة

المبحث الأول: مكانة المرأة عند الغرب

المبحث الثاني: مكانة المرأة في الإسلام.

مكانــة المـرأة

تمـهيـد:

هنا سوف أقوم بعرض بعض الحقائق التاريخية التي تظهر الأوضاع السيئة التي عاشتها المرأة في المجتمعات الغربية، ثم اعرض مكانة المرأة ومنزلتها في الإسلام، لبيان مدى تكريم الإسلام لها وما قدمه لإعلاء مكانتها الاجتماعية، حيث أعطاها كل حقوقها، والتي تتفق مع فطرتها ومع رسالتها في الحياة الإنسانية، بعد أن كانت قبل الإسلام محرومة مهانة ذليلة فاقدة حريتها وسيادتها.

المبحث الأول: مكانة المرأة عند الغرب:

يبين هذا البحث مكانة المرأة عند اليهود والنصارى، ثم مكانتها في العصور الوسطى والعصر الحديث.

المطلب الأول: المرأة عند اليهود والنصارى:

أولا: المرأة عند اليهود:

رغم أن بني إسرائيل كانت لديهم رسالة سماوية وكتاب مقدس إلا أنهم امنوا ببعض هذا الكتاب وكفروا ببعضه، وحرفوا وبدلوا فيه، وأكد هذه الحقيقة القران الكريم، حيث قال الله تعالى: ((من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه))[1]، وتحريفهم هذا اثر على مكانة المرأة بحيث جعلهم يحتقرونها ويذلونها، حيث جاء في أسفارهم: " درت انا وقلبي لأعلم وابحث، ولأطلب حكمة وعقلا، ولأعرف الشر انه جهالة، والحماقة انها جنون، فوجدت امر من موت المرأة، المرأة التي هي شباك، وقلبها إشراك، ويداها قيود، الصالح قدام الله ينجوا منها، اما الخاطئ فيؤخذ بها[2].

وأيضا يتهمون المرأة أنها وراء المعصية الأولى التي حصلت في الجنة عندما نهى الله تعالى ادم وحواء بأن لا يأكلا من الشجرة، فاتى ابليس في صورة حية وغرر بحواء فاستجابت لندائه، وأكلت ثم أطمعت ادم فكان الهبوط من الجنة وكانت الخطيئة في الأرض، لقد جاء في سفر التكوين ان الرب سأل ادم "هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك الا تأكل منها"، فقال

1 سورة النساء، الاية 46.

2 الكتاب المقدس، سفر الجامعة، الاصحاح السابع، الفقرتان 25–26.

ادم: " المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت"...فقال للمرأة: " تكثيرا أكثر أتعاب حبلك بالوجع تليدين أولادا والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك"[1].

ادم برأ من الخطيئة، وحواء مسببتها لذلك كتب عليها الله الآلام والأوجاع أثناء الحمل عقابا لها.

فهذه العقيدة المحفة جعلتهم يقيفون من المرأة موقف الحذر والشك، ويتعاملون معها على أنها دون الرجل، ويلصقون بها كل موقف فيه انحراف أو معصية أو ذل أو عار، وما ذلك إلا لاعتقادهم أن المرأة منبع الخطايا ومسبب الآثام والرذائل[2]

ويعجب المرء مما نسبته ثوراتهم المحرفة إلى نبينا لوط عليه السلام ابنتيه، مما يطعن في نبوته، وأخلاق ابنتيه، حيث يتهمون أنهما ارتكبتا الفاحشة مع أبيهما بعد سقية خمر من اجل أحياء نسل أبيهم[3].

وهذه القصة في مفهومها عندهم تحمل معنى الخطيئة الملصقة دوما بالمرأة، حيث وصلت المرأة المستوى أباحث لنفسها مضاجعة أبيها والحمل منه، وهما ابنتا نبي فكيف ببنات الناس الآخرين !

1 سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرات من 12–20

2 اسعد السحمراني، المرأة في التاريخ والشريعة، د ط، دار النفائس، بيروت– لبنان–1989، ، ص43–45.

3 الكتاب المقدس، سفر التكوين، الاصحاح التاسع عشر.

ومن شرائعهم المحرفة احتقارهم للمرأة واعتبارها نجسة طوال فترة حيضها، فلا يأكلون من يدها ولا ينام معها زوجها في فراش واحد[1]، كما يورث المتاع، وهي قاصرا وللوارث ان يبيعها أو يحبسها وكانت سلطة الآباء على بناتهم مطلقة[2]، كما كانوا يتشاءمون من ولادة البنات ويكرهون ولادتهم. يقول (بابا بتره) احد كبار رجال الدين عندهم: " ما اسعد من رزقه الله ذكورا، وما أسوأ حظ من لم يرزق بغير الإناث، نعم لا ينكر لزوم الإناث للتناسل، إلا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء"[3].

ولم يكن للمرأة أهمية إلا بقدر ما تنجب من الأولاد، وحرمت من الميراث، فإذا مات الرجل ورثته اخو هاو بعض أقاربه، والبنت إذا مات أبوها ورثها اقرب الرجال، ثم عدلت هذه القاعدة في وقت متأخر فسمح لها بأن ترث إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين، وما كان يتبرع به لها أبوها في حياته[4].

أما الزوجة فلا نصيب لها من تركة زوجها، والمهر يدفع لها على انه ثمن شراء السلعة، وبذلك تصير مملوكة للزوج بعد الزفاف، وكل مالها بعد موته او الطلاق منه مؤخر الصداق فقط، وأجيز الزواج بالأخت، واجاز الربانيون[5] زواج بنت الأخ وبنت الأخت وأباحوا تعدد

1 اسعد السحمراني،المرجع السابق، ص47.

2 صفا عوني حسين عاشور، قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري، بحث الماجستير، الجامعة الاسلامية، كلية اصول الدين، 2005، ص16.

3 المرجع نفسه، ص57.

4احمد شلبي، مقارنة الاديان اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ط، 1988، ص300

5مانع ابن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الاديان، ص37.

الزوجات على إطلاقه، مصحوبا باباحة التسري على أنواعه، وان كان بعض الربانيين ينصحون بالقصد في عدد الزوجات.

أما الطلاق، فقد أبيح في شريعة العبرانيين، وشرط على الرجل أن يعطي امرأته وثيقة بالتصريح، ولا تعود إلى زوجها الأول أبدا بعد طلاقها من الزوج الثاني أو وفاته.

وللرجل في قوانينه ان يطلق زوجته إذا فعلت ما لا يرضى ولم يسمح للزوجات ان يطلبن الطلاق من أزواجهن حتى أباحه القراؤون للمرأة في العصور المتأخرة[1] وتقرر الشريعة اليهودية المحرفة انه إذا توفي شخص بدونان ينجب أولادا ذكورا تصبح امرلته زوجة تلقائية لشقيق زوجها او أخيه لأبيه، رضيت بذلك او كرهت، وتجب عليه نفقتها، ويرثها اذا ماتت، وأول ولد ذكر يجيء من هذا الزوج يحمل زوجها الأول، ويخلفه في تركته، ووظائفه، وينسب إليه لا إلى زوجها الحالي، فيخلد بذلك اسم زوجها الأول ولا يمحى من سجل إسرائيل ، ولا يجوز أن تتزوج من غيره إلا إذا خلصها، ويتم هذا في طقوس غريبة وردت في أسفارهم المقسمة حسب زعمهم[2].

ثانيا: المرأة عند النصارى:

لقد هال رجال المسيحية ما رأوه في عالم الغرب من ترف وفجور، وما أل إليه المجتمع من انحلال أخلاق شنيع، فاعتبروا المرأة مسؤولة عن هذا كله، لأنها كانت تخرج إلى المجتمعات، وتتمتع بما تشاء من اللهو، وتختلط بمن تشاء من الرجال، لذا أرادت أن تتدارك

1صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص58.

2 المرجع نفسه، ص38.

الفوضى الخلقية في عالم الغرب، وتسد السبيل في وجه الفحشاء، وفعلا استطاعت أن تقضي على العري والدعارة ودعى بعضهم إلى التبتل والزهد والنسك، لكنه غالوا بذلك وتجاوزا حد التطرف، وحاربوا الفترة البشرية، وكانت لهم في المرأة نظرتان، كلاهما تحط من مكانتها وتحرمها من حقوقها.

النظرة الأولـى:

يرون أن المرأة ينبوع المعاصي واصل السيئة والفجور، وهي للرجل باب من أبواب جهنم من حيث مصدر تحريكه وحمله على الآثام، ومن المرأة انبجست عيون المصائب الإنسانية جمعاء، فيكفيها ندامة وخجلا أنها امرأة، وينبغي لها أن تستحي من حسنها وجمالها، لأنه سلاح ابليس الذي لا يوازيه سلاح، وعليها أن تكفر ولا تنقطع عن أداء الكفراة أبدا، لأنها هي التي آتت به من الشقاء للأرض وأهلها.

وذكر ترتولياس" احد أقطاب المسيحية: إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، وأنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة، ناقضة لقانون الله، ومشوهة لصورة الله اي صورة الرجل فهي الخطيئة مجسمة وهي باب للجحيم، ويجب أن نلعن المرأة، لأنها سبب الغوايا". ولهم أقوال كثيرة يهينون فيها المرأة ويعتبرونها شرا وافة، وخطرا على البيت والأسرة، وان الشيطان يولع بصورة أنثى، حتى كان من موضوعاتهم التي يتدارسونها: هل تعد المرأة إنسانا أو غير إنسان، وأخيرا قرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب. لقد انطلقت نظرتهم هذه للمرأة

من واقع الإيمان والتسليم لما جاء في العهد القديم من اتهام حواء بالخطيئة[1]، حيث جاء نص لبولس يقول فيه: "و آدم لم يغوى، لكن المرأة التي أغويت فجعلت في التعدي[2].

النظرة الثانية:

محاربة الفترة في العلاقة بين الرجل والمرأة فيعتبرون هذه العلاقة نجس في نفسها، يجب ان تتجنب، ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع.

لذا شجعوا على عدم الزواج، ونفروا من الارتباط بالمرأة، لأنه يجر إلى الخطيئة، ومن أراد ملكوت السماء فطريقه تبدأ بالبعد عن المرأة، وأصبحت حياة العزوبة مقياسا لسمو الأخلاق، والعازب هو التقي الورع والخلوق، أما الحياة العائلية فقد أصبحت من إمارات انحطاط الأخلاق، ومهانة الطباع، ومن أراد أن يعيش عيشة نزيهة فلا يتزوج أصلا، أولا أو لا يعاشر امرأته معاشرة الزوج لزوجته، وبذلوا كل جهد ليثبتوا في قلوب الناس الشعور ببشاعة العلاقة الزوجية وتنجسها.

ونتيجة لهذه الرهبانية، تكدرت العلاقات بين أفراد الأسرة، حتى بين الأم وولدها، وأصبحت الحياة الزوجية مبعث حرج وضيق للرجال والنساء معا، وان حطت منزلة المرأة في المجتمع في كل ناحية من نواحي الحياة.

اتسمت القوانين التي صدرت حين ذاك بتأثير الشريعة المسيحية للخصائص التالية:

1 المرجع نفسه، ص39-40

2 رسالة بلوس، الرسل الاولى الى ثيموثاموس، الاصحاح الثاني، الفقرة 10

1/- جعل المرأة تحت سلطة الرجال الكاملة، بل يجب عليها أن تقر سلطة الرجل عليها[1]، ففي رسالة بطرس: "أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن"[2]، وأصبحت حقوقها في الإرث والملكية قليلة جدا، وليس لها الحق في كسب يدها، إنما كل ما تملكه ملك لزوجها.

2/- لا يجوز الطلاق أو الخلع مهما بلغ البغض بين الزوجين في إفساد العشرة بينهما، فالدين والقانون يحتم عليها دوام العشرة، ويحتم بقاء حبل الزوجية بنهما متصلا إلا في حالات شاذة يفرق بينهما، وانه لا يجوز لذلك الرجل أو تلك المرأة أن تجدد الحياة الزوجية، وكان القديس اوغسطين يكره الطلاق ويفضل الالتجاء إلى التسري بدلا منه.

3/- إن من كبائر الإثم أن يتزوج الرجل أو المرأة مرة ثانية إذا توفي عن احدهما زوجة، حيث يرى علماء المسيحين في ذلك: "إذعانا للشهوات البهيمي،وإطلاقا لعنان غريزة الفحشاء، وكانوا يعبرون عن القران الثاني بكلمة زنا المهذب، أما رجال الكنيسة أنفسهم فلم يكن النكاح مباحا لهم في قانون الكنيسة[3].

المطلب الثاني: المرأة في العصور الوسطى والعصر الحديث:

أولا: مكانة المرأة في العصور الوسطى

قبل الحديث عن مكانة المرأة في الحياة الغربية لابد من التنويه إلى حياة الظلم والقهر التي عاشتها المرأة في العصور الوسطى، حيث استبداد رجال الأمن، وظلم الإقطاع، إلى أن

1صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص42.

2 الكتاب المقدس، رسالة بطرس الاولى، الاصحاح الثالث، فقرة رقم 19.

3صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص34-44.

جاءت الثورة الصناعية فكانت المصيبة الكبرى التي لم تصب المرأة بشر منها في تاريخها، فمن تأمل في مجتمعات العصور الوسطى يجد أن المرأة كانت في هاته الفترة:

-أما حبيسة في قصور الأمراء ورجال الإقطاع، تعيش في فراغ تام، حيث الخدمة مركولة إلى الخدم، وذلك في الطبقة الراقية.

- وأما فتاة بتول سكنت الدية لتحتمي من ظلم الإقطاع.

-وأما غذاء للشهوات في بيوت الدعارة، أو زينة في سهرات.

-وأما مستذلة فلا هي من طبقة الإشراف ولا هي استطاعت ارتباطها بالمجتمع أن تفر إلى الادرة، وظلت محتفظة بعفتها إلى كان يطاردها رجال الإقطاع.

كما كانت هناك طبقة من النساء منبوذات، وهنّ من العجائز اللاتي اتهمن الناس بالسحر والشعوذة، حيث كانت الواحدة منهن تدعي أنها على اتصال مع الله، لكن العصور التي عشنا فيها تنكر أن تسمع امرأة صوت الله، بل هو صوت الشيطان التي يتنزل على الساحرة من وراء الحائط، لذلك كن يأخذن قسرا أمام محاكم التفتيش ويقطعن إربا، أو يعذبن حتى الموت، أو يرجمن بالحجارة.

وفي هذه الفترة طغت العلاقات المادية على علاقات المحبة، كما خضع الزواج لطغيان المصالح الشخصية، أما لضرورة حربية أو سياسية أكثر من ضرورة اجتماعية.

لذلك كان أمير الإقطاع يتزوج ابنة أمير الإقطاع حتى تنظم الارضان فتتسع رقة الأرض، وكان يتقي بعضهم بعضا بالمصاهرة، وكانت الفتيات تزوجن وهن أطفال، لم يبلغن الخامسة بعد، وكان الطلاق شائعا تلتمس له أتفه المعابير.

لذا لم تكن الفتيات في القرون الوسطى إلا المكان الأدنى لحياة المجتمع، بل كن مملوكات يحركهن أولياؤهن كما يتحرك الخاتم في أصبع احدهم، فظلت المرأة قاصرا، لا يحق لها في التصرف بأموالها دون إذن وليها، بل كانت بعض قوانينهم تبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حددوا ثمنا للزوجة[1].

ثانيا: مكانة المرأة في العصر الحديث:

واستمر احتقار الغربيين للمرأة وحرمانها لحقوقها طيلة القرون الوسطى، وعندما جاءت الثورة الصناعية كانت السبب في تحطيم الأسرة، وفك روابطها، ودفعت المرأة الثمن غاليا من جهدها وكرامتها وحاجاتها النفسية والمادية، حيث امتنع الرجل من إعالتها، وفرض عليها أن تعمل لتعول نفسها حتى ولو كانت زوجة أو أما.

ومن ناحية أخرى، استغلتها المصانع أسوأ استغلال فجعلتها تعمل ساعات طويلة وأعطتها أجرا اقل من الرجل، مع أنها تقوم بالعمل نفسه، ولكنها مضطرة أن تقبل لتعليل نفسها.[2]

وأسفر هذا النضال المستبد عن ثورة فرنسا المشهورة، حيث أعلنت حقوق الإنسان تحت شعار " الحرية والمساواة والإخاء" في نهاية القرن الثامن عشر 1789م ، ومما هدفت إليه

[1] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص64-65.

[2] المرجع نفسه، 66-67.

الثورة الفرنسية إعطاء المرأة حقوقها، وما فعلوه كان له اثر محمود في الحياة الاجتماعية، حيث خففوا مما كان في قوانين الطلاق من شدة وضيق، وردوا إلى النساء بعضا من حقوقهن الاقتصادية المسلوبة، وتناولوا بإصلاح وتهذيب نظرياتهم التي تهين المرأة، وعدلوا القوانين التي كانت تضع المرأة في مستوى الجواري، وفتحوا أمامها أبواب التعلم ومع أوائل القرن العشرين جاءت الحرب العالمية الثانية"، وقتل ملايين من الشباب الاروبي والأمريكي، مما أدى إلى وجود ملايين من النساء بلا عائل وبلا زوج، فتحملت المرأة قسوة المحنة، فكان يجب عليها أن تعمل وإلا هلكت جوعا هي ومن تعول من الأطفال والعجائز، وتنازلت عن أخلاقها لتشبع حاجاتها الطبيعية من الطعام والجنس، واستمرت المصانع في معاملتها الظالمة لها، حيث كانت تمنحها أجرا اقل من اجر الرجل مع اتحاد الإنتاج والجهد المبذول، فلم يبقى لها شيء، لقد بذلت نفسها وكبريائها وأنوثتها، وحرمت من حاجاتها الطبيعية إلى أسرة وأولاد تحس بكيانها معهم دون مقابل.

إذا كان لابد من ثورة نسائية تحطم هذا الظلم الواقع على المرأة منذ قرون طويلة، فاستخدمت المرأة أسلحة عديدة دفاعا عن حقوقها المهضومة، استخدمت الإضراب والتظاهر، والخطاب في المجتمعات، واستخدمت الصحافة، وأخذت تطالب بحق الانتخاب، وحق التمثيل في البرلمان، وبدأت حركة إصلاح أحوال المرأة الاروبية وتحقيق بعض مطالبها، فكانت أول

حركة نسائية لتحرير المرأة في انجلترا سنة 1903 [1]، ومطالب هذه الحركة تتركز في ثلاثة أمور وهي:

1/- المساواة المطلقة بين الرجال والنساء في كافة الحقوق البشرية والأخلاقية والاقتصادية والقانونية، فطالبت المرأة بأن تؤدي كل ما يؤديه الرجل من أعمال، بدون قيود من وظائف المكاتب، ومهن تجارية، صناعية وحضور مجالس اللهو، وحفلات الرقص، والشهرات العامة، مما أدى إلى انحرافها عن أداء وواجباتها الفطرية ووظائفها الطبيعية، واثر ذلك على النظام العائلي في الغرب، فانهارت الحياة الأسرية الهادئة التي تسودها الطمأنينة.

2/- استقلال النساء بشؤون معاشهن، حتى أصبحت المرأة تكسب كما يكسب الرجل وأدى ذلك إلى تدمير البيت والعلاقة الزوجية، فلا يجبرها على الحياة الزوجية المشتركة غير صلة الشهوات في سلوك طريق الدعارة والفجور، ساعدها في ذلك فكرة المساواة الخلقية، فلا تخاف من حمل، او ولادة لأنها تستخدم تدابير لمنع الحمل ولا مانع من إسقاط الجنين، ساعدها في ذلك المجتمع الغربي الذي أصبح يكرم الأم العذراء وولد الزنا، وغير ذلك عنده، يعد رجعية وتخلفا وجمودا.

3/- الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء والتبرج السافر والعري وأصبح الأخذ بكل أسباب الفتنة والاستهواء هو شعار المرأة الاروبية في الغرب، وصارت تتسابق نحو التجمل وحب الظهور، والتجرد من ملابسها شيئا فشيئا، إثارة لنار الشهوة البهيمية المتأججة في صدور

[1] المرجع نفسه، ص68.

الرجال لا يزيدهم ذلك إلا عطشا لرؤية منظرا آخر أكثر منه سفورا وتكشفا، وكأن المرأة لم تخلق لأي دور إلا دور تمتع الرجل بجسدها[1].

ورغم كل ذلك مازالت المرأة في كثير من بلاد الغرب تعامل معاملة جائرة، وتحمل من الأعباء ما تنوء بحملها الجبال، فمازالت محرومة من حق الميراث ومن حق التصرف فيما تملك، حتى انه لم يعترف لها بهذا الحق في انجلترا إلا عام 1926م بموجب قانون يجعل للزوجة الانجليزية شخصية مستقلة، ولها حق التصرف في أموالها وأملاكها.

ومازالت البنت في كثير من بلاد الغرب مطالبة بكفالة نفسها عند بلوغها سن الرشد ولو أدى ذلك إلى حياة التبذل والاستهتار، ومازالت المرأة هي التي تبحث عن الزوج المنشود، وتختلط بكل من هبّ ودبّ من الذكور، وتمارس الجنس مع من تشاء، حتى توفق إلى الرجل الذي تتراضى معه على الزواج.

ومازالت قوانين الغرب قاصرة عن حماية عرض الفتاة إلا في سن القصور أما سن البلوغ فان المجتمع يتساهل في التغرير بها أو الاعتداء عليها، مع أن الجنس مباح بتراضي الطرفين.

وقد كان قانون البغاء في انجلترا إلى عهد قريب يعتبر سن البلوغ للفتاة هو الثانية عشرة من عمرها، مما أدى إلى تعرض مئات الفتيات إلى السقوط في سن مبكرة، قبل أن يبلغن الخامسة عشر، ثم بعد محاولات نجح دعاة الإصلاح في انجلترا في دعوتهم إلى اعتبار السن الذي تتحمل فيه المرأة المسؤولية كاملة عن عرضها هو السادسة عشرة.

[1] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص68-69.

ومع ذلك ازداد التغيري بالفتيات الصغيرات حتى أن احد الأطباء من الباحثين البريطانيين رأى وجوب تزويج الفتيات في سن مبكرة قبل أن يبلغن الخامسة عشر بتدابير منع الحمل لتفادي الزيادة المطردة في الطفولة الغير الشرعية وحالات الإجهاض، وليس مهما عند الغرب الحفاظ على عرض المرأة، إنما المهم هو منع الآثار المترتبة على الاتصالات الجنسية غير المشروعة، لتقليل ما يترتب عليها من أضرار ومشاكل، وأخيرا جعل الإجهاض أمرا مشروعا لا تعارضه الحكومة. وما زالت المرأة في الغرب محرمة من أي حق لها من قبل زوجها في حالة طلاقه لها، بل هي مكلفة بالإنفاق على أولادها مناصفة مع الرجل.

ذلك هو مبلغ تكريمهم للمرأة وما هذا التكريم الذي يستغل المرأة إلى أقصى حد ويجعلها هدفا لإرضاء الشهوات[1]، فباتت المرأة كما يقول الاروبيون أنفسهم: " إنها سلعة استهلاكية بكل معنى الكلمة، فقد أصبح جسمها طعما في الدعاية، فمن اجل دعاية لمرهم للوجه تظهر المرأة عارية بأكملها، ومن اجل دعاية للجوارب تظهر المرأة مستمدة إلى الأرض بأطرافها الأربعة، وكأنها كلبة تطلب الفساد" [2].

إن الحالة التي وصلت إليها المرأة في أوروبا وملحقاتها تحت شعارات الحرية والتقدم ساهم فيه الرجال الشهوانيون والنساء اللواتي وقعن بردة الفعل على أوضاع سابقة. ونتيجة لذلك فلا يوجد اليوم في الغرب رابط اسري، بل تفكك وضياع مصحوب بأنانية وفردية طاغية،

[1] حسن محمد يوسف، أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة بناء الأسرة المسلمة، سلسلة 1، دار الاعتصام، القاهرة، 1977م، ص32-35.

[2] اسعد السحمراني، المرجع السابق ، ص67.

ويضاف إلى ذلك إهدار لكرامة المرأة ورسالتها في الحياة مع تضييع الأوقات وإهدار الطاقات في أعمال مضرة ومسيئة لكيان المرأة كالتمثيل والرقص مع التعري، والغناء المفسد للذوق والقاتل للمروءة، وصناعة أدوات التجميل والزينة المفسدة لبشرة المرأة، والمسببة لسرطان الجلد، وصناعة الخمور، وأقاموا أماكن اللهو والعبث والفجور، فالقاصد لعواصمهم ومتنزهاتهم يلاحظ وبسهولة مظاهر الانحراف والشذوذ حيث تمارس العلاقات الانحرافية بشكل وقح، مما أوصلهم إلى أمراض خطرة جنسية، كان أخطرها مرض فقدان المناعة " الايدز" الذي لقب بطاعون القرن العشرين، فأية حرية هذه التي تصل فيها الأمور إلى هذا الحد من التعلق المسعور للجنس حيث يمارس في كل مكان حتى الأماكن العامة.

فهذا هو حال المرأة الغربية وما آلت إليه من هجر للأخلاق والقيم، ومقاومة الفضائل والحشمة تحت دعوات سميت زورا حرية وتقدما [1]

المبحث الثاني: مكانة المرأة في الإسلام

يعد موقف الإسلام من المرأة ثورة على المعتقدات والآراء التي رسخت في المجتمعات القديمة ولا تزال سائدة عند إتباع بعض الديانات والطوائف الشرقية، التي كانت تنظر الى المرأة نظرة جاحدة، كلها احتقار وتعسف وظلم.

[1] نفس المرجع، ص 68-69

كانت المرأة في الجاهلية عندهم لا وزن لها ولا كيان ولا حقوق، كانوا يشكون بإنسانيتها ويرون انها غير جديرة بتلقي الدين، ودخول الجنة مع المؤمنين الصادقين، ولا يحترمونها الاحترام الحقيقي اللائق بكرامتها، ولا يعترفون بأهليتها، فلم تكن الا ضمن الأشياء التابعة للرجل، وتحت وصايته بحكم أنوثتها، ومن ثم أهدرت شخصيتها، فهي مأمورة لا آمرة بل عرضة للبيع والشراء، يتحكم بها الرجل المتميز عليها في الوجود كما في معتقداتهم، فيأمر بقتلها او وأدها وهي على قيد الحياة.

ولقد كان بعث الله نبيه محمدا صل الله عليه وسلم انطلاقا لتحرير المرأة من مظالم الجاهلية، وتكريمها بنتا وزوجة وأما.

لقد جاء الإسلام لينتقل بوضع المرأة من الحضيض إلى الأعلى، فقفز بها من العدم إلى الوجود، ومن الشك في إنسانيتها إلى كامل إنسانيتها، ومن منتهى المهانة الى أعلى الكرامة، ومن فقدان الأهلية إلى كامل الأهلية.

وجاء التشريع الإسلامي ليصون المرأة عن عبث الشهوات، وفنتنة الاستمتاع بها استمتاعا جنسيا حيوانيا، ويجعلها عنصرا فعالا في المجتمع الذي تعيش فيه، فقرر لها حقوقها المشروعة والثابتة، وأعطاها ما تستحق من غير استغلال لانوثتها، ولا تملق لها، واثبت لها كل ما يحقق به كرامتها الإنسانية الحقيقية[1].

المطلب الاول: مكانة المرأة في القران والسنة:

[1] صفاء عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 70-71.

جاء القران الكريم بمبادئ سامية من اجل إصلاح حال المرأة، ووضح الرسول صل الله عليه وسلم هذه المبادئ وأكدها وشرحها وهي مبادئ ثابتة صالحة لكل زمان ومكان، ويمكن تلخيص هذه المبادئ الإصلاحية التي تهم المرأة وترفع شأنها في النقاط الآتية:

أولا: إنسانية المرأة:

ان المرأة كالرجل في الإنسانية سواء بسوء، فهما من أصل واحد يقول سبحانه وتعالى في سورة النساء: ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام أن الله كان عليكم رقيبا))[1]

ويكفي المرأة شرفا وإنسانية ان تسمى سورة من القران باسمها وهي سورة النساء وأول اية منها تدل على كامل إنسانيتها وكرامتها، وكأن هذه الآية الكريمة جاءت ردا شافيا كافيا على من لم تكن إنسانية المرأة موضع اعتبار عندهم، حيث كانوا يتدارسون فيما بينهم هل المرأة إنسان له روح ام حيوان نجس لا روح له؟

وآية أخرى تبين ان المرأة أخت للرجل، اذ تنسب واياه الى اب واحد وام واحدة، فقال تعالى: ((يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير))[2]ورسول الله صل الله عليه وسلم يقرر هذه الحقيقة بقوله: "

[1] سورة النساء، الاية 1.

[2] سورة الحجرات، الآية 13.

إنما النساء شقائق الرجال"[1] واخوة النسب على هذا النحو تقتض المساواة فيه، إذ لا يكون احد الشقيقين أوفر حظا في النسبة إلى أبويه من الآخر.

ثانيا: مسؤولية المرأة:

أعلن الإسلام كامل مسؤوليتها إلى جانب مسؤولية الرجل فيما عهد به للإنسان من شرف الخلافة في الأرض لقوله سبحانه وتعالى: ((إني جاعل في الأرض خلفية))[2]وطالبهما على السواء بعمارة الأرض حيث قال سبحانه وتعالى: ((هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها))[3]، وطالبهما أيضا على السواء بعبادة الله فيها حيث قال جلا وعلا: ((وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون))[4] وهكذا فقد شارك الجنسان فيما عهد إليهما به قبل الله سبحانه وتعالى ليقوما به من غير استثناء[5].

ثالثا: تبرئة المرأة من بعض التهم الملصقة بها:

دفع عنها لا اللعنة التي كان يلصقها بها رجال الديانات السابقة، فلم يجعل عقوبة ادم بالخروج من الجنة ناشئا منها وحدها، بل منهما معا، يقول الله في قصة ادم وحواء:

---

[1] سنن الترميذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بلالا ولا يذكر احتلاما، حديث رقم 112، صححه الالباني في صحيح سنن الترميذي 8/1، ط2، دار الفكر، الرياض، 2002، ص161،164.

[2] سورة البقرة، الآية 30.

[3] سورة هود، الآية 61.

[4] سورة الذاريات، الآية 56

[5] صفاء عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص72.

((فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه))[1]ويقول عن توبتهما: ((قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين))[2].

بل أن القران في بعض آياته نسب الذنب إلى ادم وحده فقال: ((وعصى ادم ربه فغوى))[3]، ثم قرر مبدأ آخر يعفي المرأة من مسؤولية أمها حواء، وهو يشمل المرأة والرجل على السواء[4]، فقال سبحانه: ((تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون))[5].

رابعا: أهلية المرأة:

قرر أهليتها للتدين، وتلقى التكاليف الشرعية، ودخول الجنة أن أحسنت، ومعاقبتها أن أساءت كأخيها الرجل سواء بسواء.

فالله سبحانه أشرك حواء مع ادم عليه السلام فيما خاطبه به، وأمره ونهاه، فحين أمره أن يسكن الجنة، ونهاه أن يأكل من الشجرة وجه إليهما الخطاب معا: ((وقلنا يا ادم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)) وحين خالفا أمر الله وجه الإنكار إليهما معا: ((الم أنهكما عن تلكما الشجرة))[6].

---

[1] سورة البقرة، الآية 32.

[2] سورة الأعراف، الاية23.

[3] سورة طه، الآية 121.

[4] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 73.

[5] سورة البقرة، الآية 134.

[6] سورة الأعراف، الآية 22

وللمرأة شخصيتها المستقلة عن الرجل، ويذكر لنا القران الكريم مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم النساء مبايعة مستقلة عن الرجال وذلك في قوله تعالى: ((يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبتيعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله أن الله غفور رحيم))[1].

وتأكيدا على تلك المسؤولية كانت مع الرجل في ميزان الثواب والعقاب الأخروي حيث قال سبحانه: ((ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا))[2]، وقال: ((وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم))[3]، ولو تتبعنا القران الكريم لوجدنا آيات كثيرة تؤكد هذا المبدأ لا مجال لذكرها كلها في هذا المبحث[4].

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم المشهور: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها"[5]، يؤكد مسؤولية المرأة، وهي تعاقب ويقام عليها الحد وكذلك الرجل، ولم يخص المرأة بالذكر هنا، إلا لان السارقة كانت امرأة.

خامسا: تحرير المرأة من مظالم الجاهلية:

---

[1] سورة الممتحنة، الآية 12.

[2] سورة النساء، الآية 134

[3] سورة التوبة، الآية 27

[4] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 74–75.

[5] صحيح البخار، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (52/54)، رقم (3475)، ص 865.

ومن هذه المظالم: الضيق بها والاكتئاب عند ولادتها حيث قال سبحانه: ((وإذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم))[1]، وأنكر عليهم هذه العادة السيئة حيث قال: ((يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون))[2]وحرم وأها وشنع على ذلك اشد تشنيع فقال: ((وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت))[3]، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يبكي عند سماع قصص الصحابة الذين دفنوا بناتهم وهن أحياء وأمرهم بتكفير ذنب الوأد، فعندما جاءه قيس بن عاصم وقال له: إني وأدت ثماني بنات لي في الجاهلية فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: " أعتق عن كل واحدة منهن رقبة، قال يا رسول الله إني صاحب ابل، قال: فانحر عن كل واحدة منهن بدنة أن شئت"[4]

ونهى عن تورثها وجعلها كالمتاع على حريتها فقال: ((يا أيها الذين امنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن...))[5].

وحرم على الابن ان ينكح زوجة أبيه، أو زوجة أخيه خاصة بعد وفاة زوجها، كما كان في الجاهلية يلقي عليها ثوبه فيتزوجها او يمنعها من الزواج فقال سبحانه وتعالى: ((ولا

[1] سورة الزخرف، الآية 17.

[2] سورة النحل، الآية 59.

[3] سورة التكوير، الآية 8-9.

[4] صفاء عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 76.

[5] سورة النساء، الآية 19.

تعضلوهن)) وقال تعالى: ((ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا، حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم))[1] وحرم إفساد علاقات المودة والأرحام بتحريم الجمع بين المرأة ومحارمها من النساء كالعمة والخالة والأخت، فورد في السنة: " لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها"[2].

سادسا: إكرام المرأة بنتا وزوجة وأما:

أما إكرامها كبنت فأمره بتعليمها وتأديبها والإحسان إليها فقال صلى الله عليه وسلم " أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم اعتقها وتزوجها، فله أجران"[3].

وأما إكرامها زوجة ففي ذلك آيات وأحاديث كثيرة منها: ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة))[4]، وقوله صلى الله عليه وسلم: " خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة، إن نظرت إليها سرتك، وان غبت عنها حفظتك"[5]وقوله تعالى: ((وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا))[6].

---

[1] سورة النساء، الآيتان 22-23.

[2] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها، رقم الحديث 9-51، ص 1313.

[3] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب اتخاذ السراري ومن اعتق جارية ثم تزوجها، رقم الحديث 83-5، ص 344.

[4] سورة الروم، الآية 21.

[5] صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، رقم الحديث 1467، دار احياء التراث العربي، بيروت، ص1090.

[6] سورة النساء، الاية 18.

وأما إكرامها كأم، فقد أوصى بالأم خيرا: ((ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها))[1] وقال ((فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما))[2]، وجاء رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "من أحق الناس بحسن صحابتي، قال: أمك، قال ثم من، قال أمك، قال ثم من، قال أمك، قال ثم من، قال أبوك"[3]، فقدم الأم في الصلة والبر على الأب.

وكثير من المواقف يظهر فيها تكريم الرسول صلى الله عليه وسلم للمرأة فمثلا: من عامة النساء هناك موقف لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى النساء والصبيان مقبلين من عرس فقام النبي صلى الله عليه وسلم فمثلا أي انتصب قائما فقال:" اللهم انتن من أحب الناس إليّ قالها ثلاث مرات"[4]

سابعا: تعليم المرأة

رغب في تعليمها كالرجل بخلاف ما رأينا في السابق عند غير المسلمين كانت تحبس في البيت وتحرم من العلم فأعطى الإسلام كل فرد ذكرا، او أنثى الحق في ان ينال العلم حسب ظروفه وامكانياته بل جعل ذلك فرضا حسنا حيث قال صلى الله عليه وسلم: " طلب العلم

[1] سورة الاحقاف، الاية 15.

[2] سورة الاسراء، الاية 23.

[3] صحيح البخاري، كتاب الادب، باب من احق الناس بحسن الصحبة، حديث رقم 5971، ص 1516، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والاداب، بابر الوالدين وانهما احق به، ص 8-2.

[4] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الانصار، دار الفكر، ص 174.

فريضة على كل مسلم "[1]وقوله مسلم يشمل الرجل والمرأة ، وقد اتفق العلماء على أن كل ما يطلب من المرأة كذلك.

وروى عن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم وانا عند حفصة فقال لي: " الا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة" ورقية النملة أي تحسين الخط وتزيينه، وشواهد كثيرة تدل على ان أبواب التعليم والثقافة كانت مفتوحة على مصرعيها للفتاة، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يأتي النساء ويعظهن، وخصص يوما للنساء ليذكرهن فيه[2]

ثامنا: توريث المرأة

أعطاها حق الإرث أما زوجة وبنتا، كبيرة كانت أم صغيرة أو حملا في بطن أمها، وآيات المواريث في سورة النساء شاهدة على ذلك.

تاسعا: تنظيم حقوق الزوجين:

نظم حقوق الزوجين وجعل للزوجة حقوقا كحقوق الرجل، مع رئاسة الرجل لشؤون البيت، وهي رئاسة غير مستبدة ولا ظالمة، حيث قال جل في علاه: ((ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة))[3].

[1] سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم 224، صححه الالباني في صحيح سنن ابن ماجة، دار الفكر، الرياض، ص81.

[2] سنن ابي داوود، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقي، حديث رقم 3887، صححه الالباني في صحيح سنن ابي داوود، دار الفكر، الرياض، ط2، 2000، ص368.

[3] سورة البقرة، الآية 228.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم " والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها".

فالزوج في الإسلام لا يفقد المرأة اسمها ولا اهليتها في التعاقد، ولاحقها في التملك بل تظل بعد زواجها محتفظة باسمها وباسم أسرتها، وبكامل حقوقها المدنية، وبأهليتها في تحمل الالتزامات وإجراء مختلف العقود من بيع وشراء ورهن وهبة ووصية وغيرها ولها ثروتها الخاصة وذمتها المالية، المستقلة عن زوجها، ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئا من مالها إلا بإذنها، قال تعالى: ((ولا يحل لكم أن تأخذوا مما اتيتموهن شيئا))[1]، أي المهر لها وجعل ولاية الرجال عليها ولاية رعاية وتأديب، ورعاية بشؤونها وتنمية أموالها، لا ولاية تملك واستبداد، ولها الحق في اختيار الزوج المناسب، وان كانت بكرا يكتفي بسكوتها وهو تعبير عن رضاها[2]، ويروى في هذا قصة حيث ذهبت فتاة إلى السيدة عائشة تشكو إليها ان اباها زوجها من ابن أخيه ليرفع خسيسته، فقالت: انتظري حتى يحضر النبي صلى الله عليه وسلم : فلما حضر ذكرت له ما ذكرته لام المؤمنين فقال صلى الله عليه وسلم: " الايّم أحق بنفسها من وليها، فقالت الفتاة: يا رسول الله قد أمضيت ما فعل أبي، وإنما قلت ما قلت ليعلم النساء ان ليس للرجال في هذا أمر[3]، كما الغيت أنواع الانكحة التي فيها إجحاف وظلم للمرأة في مرة واحدة، وجعل الله للطلاق حدا لا يتجاوزه الزوج وهو ثلاث، وجعل له وقت ولأثره عدة تتيح للزوجين العودة إلى الصفاء والوئام قال تعالى: ((الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان))[4]

[1] سورة البقرة، الآية 228.

[2] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 77–78.

[3] صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت، رقم الحديث 2545، ص 1037.

[4] سورة البقرة، الآية 229.

عاشرا: تقييد الطلاق:

نظم الإسلام قضية الطلاق والذي كان بلا حدود، فمنع تعسف الرجل فيه وظلمه.

حادي عشر: تحديد التعدد للزوجات:

جعل لتعدد الزوجات حدا، فجعلت أربعا بعد أن كان إطلاقه وبلا حدود فقال سبحانه: ((فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع))[1]وقيده بالعدل فقال: ((فان خفتم إلا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت إيمانكم))[2]

ثاني عشر: حق العمل

أباح الإسلام للمرأة العمل، فلها أن تقوم بالوظائف والأعمال المشروعة التي تحسن أداءها ولا تتنافر مع طبيعتها وفطرتها، وبما لا يؤثر ورسالتها الأصلية، كأم مربية وزوجة مخلصة، ولم يقيد هذا الحق إلا بما يحفظ للمرأة كرامتها، ويصونها عن التبدل، وان تؤدي هذا العمل في أدب وحشمة بعيدا عن الاختلاط بالرجال، وان لا يؤدي عملها إلى ضرر اجتماعي أو خلقي أو يصرفها عن رسالتها الفطرية وأداء واجبها نحو زوجها وبيتها وأولادها.

وقد كانت النساء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يقمن بكثير من الأعمال في داخل بيوتهن وفي خارجها وخير قدوة لنا أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: كنت اخدم

[1] سورة النساء، الآية 3

[2] سورة النساء، الآية 3.

الزبير خدم البيت كله، وأسوس فرسه واعلفه واحتش له، وكانت اخرز الدلو، واسقي الماء، واحمل النوى على رأسي من ارض له على ثلثي فرسخ"[1].

ولم تخل غزوة من الغزوات إلا شاركت النساء فيها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقمن بمساعدة المرضى والمصابين وسقاية العطشى.

لو تتبعنا القران والسنة لوجدنا كثيرا من الشواهد التي تعز المرأة، وتساوي بينها وبين الرجل في الإنسانية والكرامة والأهلية، مع وجود بعض الفروق التي لا تؤثر أولا تنقص من منزلتها والتي وجدت لضرورات فسيولوجية واقتصادية ونفسية.

ونتيجة لهذا كله يجب على المرأة المسلمة أن تفاخر جميع نساء العالم لان دينها الإسلامي فضل السبق في تقرير حقوقها والاعتراف بكرامتها اعترافا إنسانيا نبيلا، بعيدا عن الهوى والاغراض الدنيوية، ولا يدفع إليه قسرا ولا ضرورة[2].

المطلب الثاني :مكانة المرأة في الحياة الإسلامية المعاصرة:

المرأة المسلمة في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة بين موقفين وهما الغلو والتقصير:

الموقف الأول:

فهناك المسلمون المقصرون في حق المرأة الذين ينظرون إليها نظرة استهانة واحتقار، فهي عندهم احبولة الشيطان، وشبكة إبليس في الاغواء، والإضلال، وناقصة عقل ودين.

[1] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 79.

[2] المرجع نفسه، ص80.

وهم يعتبرونها مخلوقا ناقص الأهلية، وهي عند الرجل امة او كالأمة، يتزوجها لمتعة إن شاء، ويمتلك بعضها بما يدفع من مال، ويطلقها متى أراد، دون أن تملك له دفعا، ولا تستحق عن ذلك متاعا ولا تعويضا، حتى عبر بعضهم بأنها كالنعل، يلبسها متى أراد، ويخلعها متى أراد. وهي إذا تزوجت الرجل: فكرهته، ولم تطقه بغضا ونفرة، فليس لها إلا أن تصبر على مضض، وتتجرع مرارة الحياة على كرهه، حتى يرضى بطلاقها أو خلعها، وإلا فلا ولا وسيلة لها للخلاص من نير عبوديته.

وبعض هؤلاء رجع إلى عهد الجاهلية قبل الإسلام، فلا يجعل لبناته في الميراث حقا، ويكتب تركته بيعا وشراء لأبنائه الذكور، أما الإناث فمالهن من نصيب.

لقد حبسوها في البيت، فلا تخرج لعلم ولا عمل، ولا تساهم في أي نشاط نافع يخدم مجتمعها مهما يكن نوعه، حتى صور بعضهم المرأة الصالحة بأنها لا تخرج إلا مرتين، مرة من بيت أبيها إلى بيت زوجها، ومرة من بيت زوجها إلى قبرها.

هذا مع أن القران جعل حبس المرأة في البيت عقوبة لمن تأتي الفاحشة ويشهد عليها أربعة من المسلمين، وذلك قبل استقرار التشريع على حد الزنا المعرفو، حيث قال سبحانه وتعالى: ((واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا))[1].

[1] سورة النساء، الآية 10.

حرموها من الخروج لطلب العلم والتفقه في الدين، وقالوا ان على أبيها أو زوجها ان يفقهها ويعلمها، فحرموها من نور العلم، وحكموا عليها بالبقاء في ظلمة الجهل، ولم يعلمها أب ولا زوج، لان الأب والزوج كان في حاجة إلى من يعلمه، وفاقد الشيء لا يعطيه، هذا مع علمهم أن طلب العلم فريضة على كل مسلم، وان من أمهات المؤمنين ونساء الصحابة والسلف من بلغن مكانا عظيما في العلم والفقه ورواية الحديث، بالإضافة إلى الشعر والأدب[1].

وقد وجد من علمائنا من يقول: حدثتني الشيخة المسندة الصالحة فلانة بنت فلان، وقد كانت (كريمة بنت احمد) المروزية إحدى روايات صحيح البخاري، ونسختها إحدى النسخ المعتمدة التي نوه عليها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، حيث قال: " وأما رواية كريمة، فأخبرنا بها الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، سماعا عليه لبعضه، وإجازة لسائره"[2]

وهناك من منعها من الذهاب للمساجد لحضور صلاة أو موعظة مع علمهم بأن النساء في العصر النبوي كن يشهدن الجماعة، حتى في العشاء والفجر، وان النبي صلى الله عليه وسلم قال بصريح العبارة: " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"[3]

[1] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 88.

[2] صحيح البخاري بن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار الفكر، 1996، ص 1-11-12.

[3] صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل، رقم الحديث (900) ص 213، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب أمر النساء المصليات وراء الرجال أن لا يرفعن رؤوسهن من السجود حتى يرفع الرجال، رقم الحديث (136)، ص 327.

كما حرموها من مشاركة الأب أو الزوج فيما تستطيع المشاركة فيه من أعمال الحياة المشروعة، مخالفا لما جاء عن الصحابة حيث صح ذلك عن بعض نساء الصحابة، مثل أسماء ذات الناطقين مع زوجها الزبير بن العوام.

وكثيرا ما استند هؤلاء في حبس المرأة إلى متشابهات من النصوص، تاريكين المحكمات البينات، فتراهم يحتجون بالآيات الواردة في نساء النبي: "وقرن في بيوتكن"[1] "وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب"[2].

وحرموا المرأة كذلك في أحيان كثيرة من حقها في اختيار من يكون شريك حياتها، او على الأقل حقها في الموافقة عليه أو رفضه، إذا عرضه عليها وليها.

ووجد من الآباء من يزوج ابنته بغير رضاها، بل بغير استشارتها واستشفاف رأيها .

وكم استغلوا في هضم حق المرأة، وإعطائها دون مكانتها أحاديث صحيحة وضعوها في غير موضعها، واستدلوا بها في غير ما سيقت، كالحديث الذي طالما اتخذوه عكازا يتوكئون عليه في تبرير نظرتهم إلى المرأة، وهو حديث وصفهن بأنهن ناقصات عقل ودين[3]وحديث:" لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"[4].

---

[1] سورة الاحزاب، الاية 32.

[2] سورة الاحزاب، الاية 33

[3] صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم الحديث (304)، ص88.

[4] سنن الترميذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزواج على المرأة، رقم الحديث (1159)، وصححها لالباني في صحيح سنن الترميذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص593.

ولم يكتفوا بذلك فجاءوا بأحاديث لا أصل لها ولا سند، أو أحاديث واهنة شديدة الوهن أو موضوعة مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل حديث سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة الزهراء:" أي شيء أصلح المرأة؟ فقالت: إلا ترى رجلا ولا يراها رجل، فقبلها ثم قال: ذرية بعضها من بعض" وهو حديث واه لا يساوي المداد الذي كتب به.

ومثل حديث:" شاورهن وخالفوهن"[1]وهو حديث لا أصل له، وهو مخالفا لما جاء في القران من تشاور الوالدين، الأب والأم جميعا، في فطام الطفل وفصاله، (فان أراد فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما)[2].

كما أنه مخالف لما ثبت في السنة من مشاورته صلى الله عليه وسلم لام سلمة في غزوة الحديبية وأخذه برأيها الذي كان فيه الخير والصواب ومثل قولهم: " لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة"[3]

وغير ذلك من الأحاديث المختلفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي فيها انتقاص لحق المرأة ويكاد هؤلاء المتشددون يجعلون حياة المرأة سجنا لا ينفذ إليه بصيص من نور، فخروجها من البيت لا يجوز، وذهابها إلى المسجد لا يشرع، وكلامها مع الرجال ولو بالأدب المعروف، لا يسوغ، وصوتها عورة.

الموقف الثاني:

[1] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 90.

[2] سورة البقرة، الاية 233.

[3] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 91.

وفي مقابل هؤلاء الذين فرطوا وقصروا في حق المرأة وجاروا عليها نجد الآخرين الذين أفرطوا في شأنها وتجاوزا حدود الله، وحدود الفطرة، وحدود الفضيلة في ارمها.

فإذا كان الأولون أسرى تقاليد شرقية موروثة، فهؤلاء أسرى تقاليد غربية وافدة، وهؤلاء يريدون أن يلغوا الفوارق بين الرجل والمرأة، ويقولون أن المرأة إنسان كما أن الرجل إنسان، هما مولودان لذكر أو أنثى، فلماذا يتفاوتان؟ لذا نادوا بتحرير المرأة ومساواتها مع الرجل كما فعل الغرب، فاثاروا الشبهات حول المرأة، وطالبوا بخروجها للعمل بكل الأعمال حتى التي لا يقدر عليها إلا الرجل، أو لا تناسب إلا الرجل، وطعنوا في الأحاديث النبوية الشريفة وردوها كحديث: " لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة"[1] وهو حديث صحيح رواه البخاري وتلقته الأمة بالقبول ولم يطعن فيه طاعن[2].

ومن هؤلاء من يدعو إلى توريث البنت مثل ما يرث شقيقها، رافضا أن يكون للذكر مثل حظ الانثيين، مخالفا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة فقها وعملا طوال عشر قرنا.

ومن هذا التيار بعض المنتسبين إلى الإسلام، وممن يتحدثون باسم الإسلام ويقولون على الله مالا يعلمون وهدفهم تسوية صورة الإسلام.

[1] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي إلى كسرى وقيصر، رقم الحديث (73-4)، ص 965.

[2] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 92.

ومنهم من يتجاهل أحاديث صحيحة، ليفتي بحل أشياء محرمة في شرع الله، يبرر فيها الواقع القائم، أو يبرر بها اتجاهات الحكام في تحريم الحلال وتحليل الحرام، فتراهم يسكنون على اباحة القانون للزنا، وينكرون تعدد الزوجات.

ومنهم من افتى بلبس الثياب القصيرة التي تكشف الذراعين والساقين أو الشعر، والتي تشف وتصف والبعض اعتبرها أنها من الصغائر يكفرها أداء الصلوات ونحوها.

ونتيجة تلك كله خرجت المرأة كاسية عارية مترجلة تدعي انها حرة، ولا فرق بينها وبين الرجل مقلدة للغرب تقليدا أعمى في اللباس و الموضة والزينة وغيرها، وأصبحت تبعا للغرب[1].

والله سبحانه وتعالى لم يكلفنا أن نكون تبعا لغرب ولا لشرق ولا أسرى لقديم أو حديث إنما يجب أن يكون هوانا تبعا لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق ولهذا كان لابد من موقف يمثل الوسيطة في الإسلام التي لا غلو فيها ولا تفريط، ولا طغيان ولا خسران وهي التي يشير إليها قول الله تعالى: ((ألا تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان))[2].

[1] المرجع نفسه، ص 93-94.

[2] سورة الرحمان، الايتان، 8-9

الفصل الأول: الاستشراق والمرأة المسلمة

المبحث الأول: الإطار المعرفي والتاريخي للاستشراق.

المبحث الثاني: المستشرقون والمرأة المسلمة.

تمهيد:

الاستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين ثقافتهم وتاريخهم وحضارتهم، يقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته.

لقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري.

والاستشراق ظاهرة ثقافية ومعرفية تغذيها عواطف اكتشاف ذلك المجهول الغامض المحاط بالرموز التي لا تقرأ أحرفها بسهولة، والشرق هو ذلك المجهول في أعماق نفس الاروبية، ليس مجرد كيان جغرافي بعيد... فالشرق في نظر الثقافة الغربية كون جديد وقارة غاضبة متحدية وصفة شرقية منتصبة بكبرياء التاريخ كله، تقاوم كل تحد ولا تستسلم[1].

المبحث الأول: الإطار المعرفي والتاريخي للاستشراق:

المطلب الأول: مفهوم الشرق والاستشراق والمستشرق:

[1] محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، 2012، ص 7-8.

أولا: الشرق:

يحظى التعرف على الشرق بأولوية متميزة في الأوساط الغربية، لاسيما وانه يعتقد بأن الشرق هو جنة عدن.

فمن خلال هذه الرؤية شاع عند اللاتين قديما ذلك المثل الشهير (Ex oriente luxe) أي " النور يطلع من الشرق" ولم يزل الشرق موطنا للديانات السماوية وغير السماوية، ومهد الحضارات القديمة، وارضا للحكماء والمعجزات الخارقة[1].

ثانيا: الاستشراق:

لغة: مشتق من الشرق، والشرق والمشرق بكسر الراء وبالفتح وهو القياس لكنه قليل الاستعمال، اسم أي جهة شروق الشمس، والسين في كلمة الاستشراق يفيد الطلب أي طلب دراسة الشرق، وقد تعرضت لفظة الشرق في أعقاب الفتوحات الإسلامية لتغيير آخر في معناها، فشملت مصر وبلدان شمال إفريقيا[2].

اصطلاحا: إن تحديد المفهوم الاصطلاحي لكلمة الاستشراق يدفعنا إلى النظر في المعاجم اللغوية الحديثة أولا، ثم العودة إلى ما كتبه الغربيون ثانيا، ثم عرض آراء الباحثين العرب ثالثا[3].

1 محمد بن سعيد الرحاني، الاثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القران الكريم، ندوة القران الكريم في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة السعودية، ص3.

2 محمد فارق النبهان، المرجع السابق، ص 11.

3 محمد محمد داود، المعجم الوسيط واستدراكات المستشرقين، ط1، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007، ص 120.

في المعاجم اللغوية الحديثة:

يقال: استشرق، يستشرق، استشراقا، استشرق الأوروبي أي اهتم بالدراسات الشرقية، بمعنى طلب علوم الشرق ولغاته.

وحركة الاستشراق تعني اتجاه الكتاب الغربيين نحو العناية بتراث الشرق وحضارته.

عند الكتاب الغربيين:

-ظهر مصطلح الاستشراق في الغرب منذ القرن الثامن عشر الميلادي من الزمن على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الاروبية المختلفة[1].

لكن البحث في حضارة الشرق، وخاصة الحضارة الإسلامية ظهر قبل ذلك بكثير، إن مصطلح الاستشراق تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بشعوب الشرق وديانته وتاريخه ولغاته وأوضاعه، ويتبين أن لفظ الاستشراق هو ترجمة لكلمة غربية، هي Orientalisme[2].

فقد تعددت كتابات المستشرقين حول مفهوم كلمة الاستشراق بقدر ما تعددت معاهده وكلياته، ومن الغربيين الذين تناولوا ظهور الاستشراق وتعريفه نجد المستشرق الألماني ردي بارت Rudi Paret [3] الذي يقول: " الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة، ولا بدلنا إذن أن

[1] أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق واثرها في الادب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 25.

[2] سهيل ادريس، جبور عبد النور، المنهل، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1983، ص 722.

[3] عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، بيروت، 1993، ص62.

نفكر في المعنى الذي أطلق على كلمة " الاستشراق" المشتقة من كلمة "شرق" وكلمة " شرق" تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق: هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي"[1].

يتضح من تعريف رودي بارت لكلمة الاستشراق انه ينتمي إلى مدرسة تعتمد لموضوعية في طرح المسائل ومعالجتها، ولذلك جاء تعريفه لكلمة الاستشراق يحمل دلالتين: الأولى تعني علم يختص بفقه اللغة خاصة، والثانية هو علم الشرق عموما.

يعرف "ميكائيل أنجلو جويدي Michel Angelo Guidi (1886–1940) الاستشراق قائلا: " الوسيلة لدراسة كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنما هو "علم الشرق"... ليس علم الشرق الا بابا تاريخ الروح الإنساني..."[2].

يبدو أن الاستشراق في نظر "جويدي" وجه من وجوه الاستعمار، ويظهر هذا من خلال استعماله لكلمة " النفوذ" التي تعبر عن الصراع بين الشرق والغرب، والتي يراها وسيلة فعالة للغوص في أعماق دراسة الشعوب للتعرف على الروح الإنسانية.

أما المستشرق الفرنسي "مكسيم رودنسون Maxime Rodinson" فيقول: "وهكذا ولد الاستشراق وظهرت كلمة مستشرق في اللغة الانجليزية عام 1779م... كما دخلت كلمة الاستشراق معجم اللغة الفرنسية أم 1838م، وتجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة

[1] رودي بارت، الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الالمانية، ترجمة: مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2011، ص 17–18.

[2] احمد سمايلو فيتش، المرجع السابق، ص 24.

الشرق... وكان الشرق يأخذ مكانة في مؤلفات القرن الثامن عشر إلى جانب الغرب في أفق شمولي"[1].

يظهر من حديث "مكسيم رودنسون" أن كلمتي " الاستشراق" و" مستشرق" حديثتا العهد في اللغة الانكليزية واللغة الفرنسية، وان هذا المصطلح ظهر في الغرب، وان دراسة العالم الثامن عشر كانت لا تزال تستقطب أنار الدارسين الغربيين.

عند الباحثين العرب:

من آراء الباحثين العرب حول مصطلح الاستشراق:

يقول احمد حسن الزيات في معنى مصطلح الاستشراق: يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه، ولغاته وآدابه، وعلومه وعاداته، ومعتقداته وأساطيره، ولكنه في العصور الوسطى كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقا في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح"[2].فالكاتب قد ميز بين مفهومين لكلمة الاستشراق، مفهوم قديم يرجع إلى العصور الوسطى، يرتبط بدراسة العبرية لصلتها بالتوراة، والعربية لأنها لغة العلم، أما المفهوم الجديد فيشمل دراسة حضارة الشرق الإسلامي.

[1] احمد سمايلوفيتش، المرجع السابق، ص25.

[2] احمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط1، دار النهضة، مصر، د س، ص 512.

يرى أحمد أمين أن كلمة استشراق تعني صار شرقيا، كما أن كلمة مستشرق تطلق على كل غربي اهتم بدراسة الشرق حضارته، ويتضح هذا المعنى من قوله: "كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية، وتقصى آدابها طلبا ليعرف شأن أمة أو أمم شرقية، من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها ودياناتها أو علومها وآدابها، والأصل في كلمة استشرق انه صار شرقيا، كما يقال استعرب إذا صار عربيا"[1].

يعرف مالك بن نبي الاستشراق يقوله: "يجب أولا أن نحدد المصطلح، إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية، ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى: " طبقات" على صنفين:

1/–من حيث الزمن: طبقة القدماء... وطبقة المحدثين...الخ.

2/–من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين في كتاباتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها والمشوهين لسمعتها"[2].

إذن فالمستشرقون حسب مالك بن نبي هم كتاب غربيون يكتبون عن الفكر الإسلامي، وهم طبقات من حيث تعاملهم مع الحضارة الإسلامية.

قدم محمود زقزوق بعض التعريفات حول مفهوم مصطلح الاستشراق من بينها قوله: "كلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله... ولكننا هنا لا نقصد هذا المفهوم الواسع ... وإنما كل ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق

[1] احمد سمايلو فيتش، المرجع السابق، ص28.

[2] مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، دار الإرشاد، بيروت، 1969، ص6.

الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام"[1].

يمكن أن نقول من خلال الآراء السابقة أن المستشرقين هم جماعة من علماء الغرب في شتى الميادين العلمية والثقافية درسوا حضارة الشرق وخاصة الحضارة الإسلامية.

ثالثا: المستشرق:

إذا كان من العسير وضع تحديد ثابت لمفهوم كلمة (شرق)، فانه من الصعوبة بنا أيضا تعريف (المستشرق) تعريفا قاطعا شاملا، ولكن يمكننا القول أن المستشرق هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية.

والمستشرقون هم جماعة من الكتاب والمؤرخين الأجانب الذين خصصوا جزءا كبيرا من حياتهم لدراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والاجتماعية للشرق الإسلامي، فصار من الضروري على هؤلاء أن يتعلموا اللغات الأصلية لهذا الجزء من العالم.

وهذه التسمية لا تعود إلى عهد قديم وإنما ترجع إلى نهاية القرن الثامن عشر حيث تشير الأبحاث إلى أن مفهوم (مستشرق) لم يظهر في أوروبا إلا نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولا في انجلترا عام 1779م وفي فرنسا عام 1799م، وأدرج الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838.

[1] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط2، دار المنار، القاهرة، 1989، ص23.

فالمستشرق هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية، ولابد أن يتوافر في العالم المتخصص المتعمق حتى يفيد الحضارة والبشرية بإنتاجه العلمي، ولابد أن ينتمي هذا العالم إلى الغرب ولو كان هذا العالم يابانيا أو أندونيسيا أو هنديا لما استحق أن يوصف بالمستشرق لأنه شرقي بحكم مولوده وبيئته وحضارته، وقد تكون الدراسات الشرقية التي يقوم بها المستشرق تاريخا أو فلسفة أو أثارا أو اقتصادا ولكنها ترتبط بالشرق.

وليس من الضروري أن يرحل هذا المستشرق إلى الشرق ليعيش فيه، أو ليتطلع بطباعه وحضارته، فقد يقوم بدراساته في جامعته الغربية، أو في وطنه، وإذا كان رحيله إلى الشرق يجعل دراساته اقرب إلى الواقعية والحقيقة، وليس من الضروري أن يعتنق هذا المستشرق الإسلام أو احد الأديان السائدة في الشرق[1].

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق، تطوره، مقاصده ووسائله:

أولا: نشأة الاستشراق وتطوره:

لاشك في أنه من الصعب جدا تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، وليس هناك دليل قاطع يدل على البداية الحقيقية والمنظمة للاستشراق، فتضاربت الآراء حول نشأته

[1] فاروق عمر فوزري، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، ط1، الأهلية للنشر التوزيع، الأردن 1998، ص12.

وبدايته، ربما ذلك بسبب اختلافهم حول مفهوم الاستشراق أو بيان الأسباب والدوافع أو بداية الاستشراق ونلخص فيما يلي بعض تلك الآراء.

1- نجد بأن هناك من قال: إنّ الاستشراق بدأ في القرن السادس قبل الميلاد، ويراد به زيارة الشرق والسفر إليه والاطلاع على تقاليده وتاريخه ثم الكتابة عنه، بغض النظر عن الجانب الديني أو السياسي أو العلمي، كالمؤرخ اليوناني الإغريقي "هيردوتس" يعتبر أول مستشرق لأنه زار الشرق وكتب عنه في القرن السادس قبل الميلاد[1].

2-يقول بعض الباحثين: إن الاستشراق بدأ في القرن السابع الميلادي في العهد الأموي حيث قام العالم النصراني يوحنا الدمشقي (686-749م) بدراسة الإسلام بقصد التشويه والتشكيك، ولأجل حماية إخوانه النصارى ومن كتبه: محاورة مع المسلم، وإرشادات النصارى في جدل المسلمين[2].

3- قال البعض: إن الاستشراق انطلق من الأندلس في القرن الثامن الميلادي، حيث دخلها المسلمون في عام 711م، واحتك سكان أوروبا من المسيحيين وغيرهم مع المسلمين، واختلطوا معهم اختلاطا علميا وثقافيا في جامعات المسلمين ومعاهدهم ومدارسهم هناك، وتتلمذوا عليهم، ثم رجعوا إلى بلادهم وأوساطهم متأثرين بالثقافة الإسلامية[3].

---

[1] ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص 29.

[2] محمود حمدي زقزوق، المرجع السابق،، ص28.

[3] المرجع نفسه، ص 29.

4- وقال الآخرون: انه بدأ في القرن العاشر الميلادي، حيث توافد رجال من أوروبا إلى الأندلس، ودرسوا في جامعات المسلمين اللغة العربية والثقافية العربية الإسلامية، وكذلك الطب والكيمياء والفلسفة والرياضيات وغيرها من العلوم التجريبية، ثم قاموا بترجمة الكتب العربية إلى لغاتهم، وعلى رأسهم الراهب الفرنسي جربرت[1].

5-قيل: إنه بدأ في القرن الثاني عشر الميلادي، وذلك حين ترجم الراهب الانجليزي "هرمان" القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام 1143م، وكما صدر أول قاموس عربي لاتيني في هذه الفترة[2].

6-وقيل: بدأ الاستشراق في القرن الثالث عشر الميلادي، وذلك بعد انتهاء الحروب الصليبية التي بدأت عام 1095م، وانتهت عام 1291م بهزيمة نكراء للصليبيين، فتوجهوا إلى دراسة أسباب غلبة المسلمين وفوزهم وهكذا بدأ الاستشراق[3].

7- وقيل: بدأ في القرن الرابع عشر الميلادي، وهو بداية الاستشراق الرسمي، حيث صدر قرار من مجمع فيينا الكنسي عام 131م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدة جامعات أوربية[4].

[1] مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، ط2، دار البيان، الكويت، 1979، ص 18.

[2] محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القران الكريم، ط1، بيروت دار الآفاق، 1980، ص90.

[3] محمد البهى، الفكر الإسلامي الحديث، ط6، دار الفكر، بيروت، 1973، ص 532.

[4] محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه وسائله، ط1، دار قتيبة، بيروت، ص27.

8-وقيل: بدأ في القرن السادس عشر الميلادي، وهو ما يسمونه فترة الإصلاح الديني، وفيها بدأ اتصال الغرب المسيحي بالشرق المسلم اتصالا اقتصاديا، سواء في كشف موارد الثروة فيه أو في استغلالها ونقلها إلى الغرب، في صورة تبادل تجاري أو في صورة أخرى[1].

9- وقيل: بدأ في القرن الثامن عشر الميلادي أي بالتحديد بعد الحملة الفرنسية على مصر عام 1798، حين جاء نابليون (Napoleon Bonaperte) إلى مصر، وحمل معه عددا كبيرا من العلماء، كما حصل معه مطبعة عربية ساعدت هؤلاء العلماء في القيام بأبحاث متعددة وطبعها ونشرها[2].

وهذه أقوال العلماء والباحثين باختصار حول نشأة الاستشراق، لكنه من العسير جدا بل من غير الممكن تحديدها تحديدا زمنيا أو مكانيا.

ثانيا:مقاصد الاستشراق

1- الهدف العلمي المشبوه:

-التشكيك بصحة الرسالة النبوية.

-إنكارهم أن يكون الإسلام دينا من عند الله.

[1] علي محمد جريشة، محمد شريف الزيبق، أساليب الغزو الفكري، ط1، القاهرة، دار الاعتصام، 1977، ص19.

[2] علي حسن الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د ط، القاهرة، جمعية الدراسات الإسلامية، 1988، ص28.

-التشكيك بصحة الحديث وقيمة الفقه.

-التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي.

-2-الأهداف الدينية والسياسية:

-إضعاف روح الايخاء الإسلامي.

-إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم لتسهيل السيطرة.

3- أهداف علمية خالصة:

-لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص وهي أكثر سلما واقل عداءا ونظرا[1]

ثالثا: وسائــل الاستشــراق:

لم يترك المستشرقون وسيلة تؤدي إلى تحقيق أهدافهم ونشر أفكارهم الا سلكوها ومن هذه الوسائل:

1-تأسيس الجامعات العلمية في بلدان العالم الإسلامي خاصة وبلدان الشرق عامة.

2-إنشاء الموسوعات الإسلامية والشرقية بوجه عام التي تتناول الشرقيات من جميع جوانب المعرفة واتخاذها وسيلة لدس الأفكار الاستشراقية السامة ومن هذه الموسوعات: الموسوعة العلمية لاروس.

3-كراسي الدراسات الإسلامية والعربية والشرقية بوجه عام في الجامعات واتخاذها بؤرة لاصطياد أبناء الشعوب الإسلامية والتأثير عليهم فكريا وسلوكيا ونفسيا.

[1] مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 19-20-21-22-23-24-25.

4-عقد المؤتمرات الاستشراقية لتبادل الرأي فيما يحقق أهداف الاستشراق.

5-عقد المؤتمرات ولقاءات التحاور الرامية إلى بث الأفكار الاستشراقية والترويج لها وإقناع مثقفي العالم الإسلامي بها[1].

6- تأليف الكتب في موضوعات مختلفة من الإسلام والرسول والقرآن وتاريخ المسلمين.

7- إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام والمسلمين وشعوبهم وبلادهم وكل ما يتعلق بهم.

8-إمداد إرساليات التبشير بالخبراء من المستشرقين ودعمها بما تحتاج إليه من جهود وفي معظم مؤلفاتهم كثير من التحريف المعتمد في نقل النصوص أو بترها.

9- إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات والأندية العلمية.

10- نشر المقالات في المجالات والصحف المحلية للبلاد الإسلامية لبث أفكارهم عن طريقها.

11- وجه المستشرقون عناية فائقة لإفساد المرأة المسلمة عن طريق دعوات تحريرها وانطلاقها للعمل في شتى حقول المجتمع[2].

المبحث الثاني: المستشرقون والمرأة المسلمة.

تمهيد:

[1] عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، اجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ط8، دار العلم، دمشق، 2000، ص 124-125.
[2] المرجع نفسه، ص 136-137.

الحق شمس ساطعة قوية، يحاول أعداؤه أن ينفثوا حوله السموم، ليطفئوا بها هذا النور: ولكن الله سبحانه وتعالى يحق الحق ولو أبى أهل الباطل، فهم وسفاهاتهم ومؤامراتهم على المرأة خاصة كالغيمة التي يمكنها أن تحجب النور للحظات لكن سرعان ما تتقشع.

وللإسلام حراس يذودون عنه، ويسدون الثغرات التي يحاول المضللون أن ينفذوا منها ليهدوا بنيانه العظيم.

ورغم أنّ الاستشراق موضوع الشرق كله، إلا أن الحيز الأكبر من الدراسات الشرقية هو الإسلام بمختلف علومه وفنونه، والأكثر تناولا في الدراسات الإسلامية هو الرسول صل الله عليه وسلم والقرآن الكريم والسنة الشريفة والمرأة المسلمة، بل كل ما يتعلق بها كزوجات الرسول صل الله عليه وسلم والأسرة والحجاب وتعدد الزوجات وغيرها من أمور كثيرة تخص المرأة.

فلقد عرف المستشرقون ما للمرأة من تأثير على الأسرة بل على المجتمع كله فوجهوا شطرا كبيرا من أعمالهم إليها فلما وجدوها ملتزمة بآداب الإسلام بعيدة عن الاختلاط في مجتمعات الرجال فعملوا على إفسادها وذلك بإثارة الشبهات حولها والطعن فيها، والهدف من ذلك كله هو الإساءة للإسلام إلى الدعوة لتحرير المرأة، وذلك وصولا إلى هدم المجتمع المسلم الذي يكون صلاحه بصلاح المرأة.

المطلب الأول: شبهات حول قضايا المرأة المسلمة والرد عليها:

القضايا التي يتناولها المستشرقون ويثيرون الشبهات حولها بين حين وآخر تتركز غالبا في القضايا التالية:

أولا: قضية تعدد الزوجات:

يشن الغربيون المتعصبون من رجال الاستشراق والاستعمار حملة قاسية على الإسلام والمسلمين بسبب تعدد الزوجات ويتخذون منها دليلا على اضطهاد الإسلام للمرأة واستغلال المسلمين لها في إرضاء شهواتهم فقالوا: "أن التعدد وحشية لا ترضى، وشهوانية غير مقبولة، وأنه علة انحطاط الشرقيين"[1].

كما نجد قاسم أمين في كتابه " المرأة الجديدة" يقول:" إنّ في تعدد الزوجات احتقارا شديدا للمرأة لأنك لا تجد المرأة ترضى أن تشاركها في زوجها امرأة أخرى، كما انك لا تجد رجلا يقبل أن يشاركه غيره في محبة امرأته، وهذا النوع من الحب اختصاص طبيعي للمرأة كما انه طبيعي للرجل"[2].

الرد على الشبهة:

إنّ الإسلام لم يكن أول من شرع في تعدد الزوجات بل كان موجودا عند الأمم القديمة من الهنود والبابليين، والصينين والمصريين وغيرهم ولم يكن عند أكثر هذه الأمم حد محدود فقد كانت الديانة اليهودية تتيح لتعدد بدون حد.

[1] مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ط4، دار الوراق، القاهرة، 2010، ص 71.

[2] قاسم امين، المرأة الجديدة، د ط، دار البجمانين، مصر، 1911، ص42.

فالإسلام ليس أول من أتى بتعدد الزوجات ولكنه دين نظم شؤون الزواج وقد تعدد الزوجات بقيود شديدة وشروط قاسية[1]، قال تعالى: ((فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت إيمانكم ذلك أدنى إلا تعدلوا))[2].

فالإسلام أباح تعدد الزوجات عند وجود مبرر للتعدد كأن تكون المرأة عاقرا أو مريضة مرضا معديا أو مزمنا ففي هذه الحالة يباح له لتعدد ولكن بشروط:

-أن يكون قادرا صحيا وماليا وأن يكون عادلا بين أزواجه عدالة مطلقة لان العدالة بين الزوجات غير ممكنة ولا يستطيع الإنسان عليها[3]. قال تعالى: ((ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة))[4]

وفي ذلك نجد المستشرق الفرنسي اميل درمنغم (1892-1971)Emile Dermengihem يقول: "لقد أباح محمد صل الله عليه وسلم تعدد الزوجات.. ولم يوص الناس به، ولم يأذن فيه إلا بشرط العدل بين الزوجات، فلا يهب إحداهن إبرة دون الأخرى...وليس مبدأ الاقتهار على زوجة واحدة من الحقوق الطبيعية مع ذلك، ولم يعرضه كتاب العهد القديم على الآباء، وإذا كان هذا المبدأ قد أصبح سنة في النصرانية فذلك لسابق انتشاره في بلاد الغرب، وذلك من غير أن يحمله رعايا (نيرون) إلى بلاد إبراهيم ويعقوب (عليهما السلام)...وأيهما أفضل

[1] عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، المرجع السابق، ص 233.

[2] سورة النساء، الاية3،

[3] المرجع نفسه، ص 684.

[4] سورة النساء، الآية 129

تعدد الزوجات الشرعي أم تعدد الزوجات السري؟ ... إن تعدد الزوجات من شأنه إلغاء البغاء والقضاء على عزوبة النساء ذات المخاطر"[1].

وقد دل الإحصاء في جميع أنحاء العالم على أن النساء أكثر من الرجال خوفا من العار والفساد وأباح تعدد الزوجات.

قال العالم الانجليزي مستر جواد (Master Jowad) : " إنّ النظام البريطاني الذي يمنع تعدد الزوجات نظام غير مرضي فقد اضر نحو مليوني امرأة إلى الذبول وحرمانهن من الأولاد وبذلك ألجأ إلى نبذ الفضيلة وإتباع الرذيلة"[2].

وقال الكاتب كوستاف لوبون (Gustave le bon 1841-1931): إن نظام التعدد في الإسلام نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمة الإسلامية التي تقوم به ويزيد الأسرة ترابطا ويمنع المرأة احتراما وسعادة لا تراها في أوروبا كلها".

ويقول أيضا: "أن تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين أحسن من تعدد الزوجات الريائي".

ومرة أخرى يقول: " إنّ تعدد الزوجات يجنب المجتمع ويلات هذه الآفة من أخطار العاهرات، ويخلص القوم من الأولاد الذين لا أباء لهم أي اللقطاء.

بالإضافة إلى ذلك نجده يؤكد بقوله: "إن تعدد الزوجات على مثل ما يشرعه الإسلام من أفضل الأنظمة، وأنهضها بأدب الأمة التي تذهب إليه وتعتصم به، وأوثقها للأسرة عقدا

[1] محمد حسين هيكل، حياة محمد، ط14، دار المعارف، القاهرة، ص331، 330.

[2] المرجع نفسه، ص400.

وأقواها لاصراتها ازرا وسبيله أن تكون المرأة المسلمة اسعد حالا، واوجب شأنا، وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية".

كما يقول: "لست ادري على أي قاعدة يبني الاروبيون حكمهم بانحطاط ذلك النظام- نظام التعدد- عن نظام التفرد عند الاروبيين المشوب بالكذب والنفاق على حين رأي هناك أسبابا تحملني على إيثار نظام على ما سواه"

ويقول كذلك: "أن تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين أحسن من تعدد الزوجات الريائي"[1].

أما مونتغمري وات (Montgomery watt 1909-2006) يقول: " أن الفكرة الرائدة في القرآن هي أنه إذا تبنى المسلمون تعدد الزوجات، فان جميع الفتيات اللواتي هن في سن الزواج يمكنهن الزواج بصورة حسنة" ومرة أخرى يقول: "فان تعدد الزوجات يسمح للنساء الكثيرات بالزواج الشريف"[2].

إضافة إلى ذلك نجد ايتين دينية (Etienne Dinet 1861-1929) قال: " إننا نخشى أن تخرج [المرأة] الشرقية إلى الحياة العصرية... فينتابها لما تشهده لدى أخواتها الغربيات اللائي يسعين للعيش وينافس في ذلك الرجل، من أمثلة الشقاء والبؤس الكثيرة"[3].

[1] غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، ط3، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1956، ص 412-413.

[2] مونتغمري وات، محمد في المدينة، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د س، ص 423-128.

[3] عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ط1، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1992، ص413.

أما جاك ريسلر (Jack Reisler 1995-1921) يلاحظ أن تعدد الزوجات بتقييده الانزلاق مع الشهوات الجامحة، قد حقق بهذا التشريع الإسلامي تتماسك الأسرة، وفيه ما يسوع عقوبة الزوج الزاني"[1].

كما تنتقل الانكليزية ايفلين كوبلد، E.Cobold الكاتب الانكليزي المسلم قوله (بأن المرء أن ينظر إلى تعدد الزوجات في الإسلام نظرة حق وعدل خصوصا وانه يقرر للمرأة مركزا تحاول المدينة الغربية إغفاله، ذلك أن الزواج الواحد لم يكن في وقت من الأوقات أمرا واقعا في أوروبا، الاعتراف بهن بسبب هذه العقيدة التي ليس هناك من يحافظ عليها، فالإسلام والحالة هذه يضع حد لهذه الظاهرة البغيضة، ويسمح للمرأة التي تتعلق بشخص متزوج أن تعيش عيشة شريفة محترمة)[2]

أما الباحثة الألمانية زيكريد هونكه (Sigrid Hunke 1999-1931) فتشير إلى الضرورات التاريخية والاجتماعية التي تجعل من تعدد الزوجات أمرا ملحا، لقد كان المبدأ معمولا به قبل الإسلام "وبظهور الحركة استمرت تلك الضرورة نتيجة لبدء الفتوح، والواقع أن الفكرة أثبتت نجاحا كبيرا"[3]

ويبين الفيلسوف الانجليزي (سبنسر): "أصول علم الاجتماع" إن الأمة المعددة للزوجات أقوى من الأمة الموحدة، وذلك من خلال قوله: إن التعدد ضرورة للأمة التي يفنى رجالها في

[1] جاك ريسلر، الحضارة العربية، تر: غنيم عبدون،مراجعة، د، احمد فؤاد الاهواني، الدار المصرية، القاهرة، د س، ص52.

[2] زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، ط8، دار الجيل، بيروت، 1993، ص 471.

[3] المرجع نفسه، ص 472.

الحروب، ولم يكن لكل رجل من الباقين إلا زوجة واحدة فإذا طرأت على الأمة حالة اجتاحت رجالها الحروب، وبقي نساء عديدات بلا أزواج، فانه ينتج عن ذلك نقص في المواليد لا محالة فإذا تقاتلت أمتان إحداهما لا تستفيد من جميع نسائها بالاستيلاء فإنها لا تستطيع أن تقام خصيمتها التي يستولد رجالها جميع نساءها بمقتضى التعدد للزوجات وتكون النتيجة أن الأمة الموحدة للزوجة تفنى أمام الأمة المعددة للزوجات[1].

التعدد في الإسلام: إنّ نظام التعدد في الإسلام نظام أخلاقي لأنه لا يسمح لأي رجل أن يتصل بأي امرأة شاء وان أراد زوجها فلا يقربها إلا بعد العقد وإشهاره، وهو أيضا نظام إنساني لأنه يخفف الرجل به من أبعاد المجتمع إلى غير ذلك، ومن هنا نجد روزماري هاو R.Mary Howe تقول: "إن الإسلام يعتبر الزوج اقرب صديق لزوجته، إذ تكن له ما في نفسها، لان الزواج في الإسلام علاقة مقدسة حميمة لا تضاهيها العلاقات العادية الأخرى"[2]

التعدد عند الغربيين: إنه لا يقع باسم الزواج ولكنه يقع باسم الصديقات، وهو ليس مقتصرا على أربعة فحسب بل هو مالا نهاية له.

الحكمة من تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم:

[1] اوبسيوف، أصول علم الاجتماع، تر: سليم توما، د ط، دار التقدم، موسكو، 1990، ص20.

[2] عرفات كامل لعشي، رجال ونساء اسلموا، د ط، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 2001، ص 8، 28.

وجه المستشرقون والمعادين للإسلام وللنبي صلى الله عليه وسلم سمومهم بالطعن في النبي صلى الله عليه وسلم بسبب تعدد زوجاته وادعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أكثر من واحدة من اجل الشهوة واللذة والراحة النفسية[1].

الرد على الشبهة:

إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فيما فعله من تعدد الزوجات بدعا من الرسل فكان داود وسليمان عليهما السلام قد تزوجا كثيرا من النساء فالتعدد كان مباحا عند الصينيين إلى 130 امرأة بل كانت الديانة اليهودية تتيح التعدد بدون حد فلماذا يشككون في نبي الإسلام بدون حد وزواجه من أمهات المسلمين[2].

وفي هذا الرأي نجد روجيه كارودي (Ruger Caroudy 1913-2012) يؤكد أن التعدد الذي اقره الإسلام كان موجودا من قبل، وانه موجود كذلك في التوراة والإنجيل" إنما فرض عليه الإسلام على العكس حدودا مثل العدل التام بين مختلف الزوجات في الإنفاق والمحبة والمعاشرة الجنسية، وهي قواعد إذا ما جرى تطبيقها بحرفيتها تجعل تعدد الزوجات مستحيلا".

ويؤكد عبد الله كويليام (William Henry quiliam 1856-1932) ما أشار إليه كارودي من قبل، من أن تعدد الزوجات ليس أمرا جديدا في الإسلام "فان موسى (عليه السلام) لم

[1] محمد علي الصابوني، شبهات وأباطيل تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، ص7.

[2] إبراهيم محمد الجمل، زوجات النبي وأسرار الحكمة في تعددهن، دار التوفيق النموذجية، القاهرة، د س، ص18.

يحرمه، وداود (عليه السلام) أتاه وقال به وانه لم يحرم في العهد الجديد (الإنجيل) إلا من عهد غير بعيد[1].

-إنّ تعدد الزوجات بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم ليس كما يدعي هؤلاء الحاقدين بأنه من اجل لذة ومتعة إنما هو رحمة من الله عزوجل، ولقد اتفق المسلمين على أن للنبي صلى الله عليه وسلم من الخصائص ما ليس لامته لأسباب:

1/- أن التعدد في حق النبي صلى الله عليه وسلم كان القصد منه تأليف القلوب وجمع القبائل على الإسلام ولقد تحقق هذا مع بعض القبائل المعاندة بالمصاهرة واسلم كثيرا منهم وأصبحوا قوة بجانب المسلمين[2].

2/- الدعوة الإسلامية تطلب القوة والمساعدة من أصحاب النفوذ والشأن بين القوة وخاصة في قبائل العرب ولهذا صار النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وبعض قبائل العرب ليكون الأثر اكبر في تأليف القلوب.

3/- لو كان التعدد لمتعة أو لشهوة كما يدعي هؤلاء المستشرقين لما حرم الله على رسوله أن يطلق منهن أو يتزوج عليهن[3] لقوله تعالى: ((لا يحل لك النساء من بعد أن تبدل بهن من أزواج ولو عجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك))[4].

---

[1] روجيه غارودي، وعود الإسلام، تر: ذوقان قرقوط، ط2، دار الرقي، بيروت، 1985، ص79.

[2] محمد علي الصابوني، المرجع نفسه، ص8-26.

[3] إبراهيم محمد الجمل، المرجع السابق، ص11.

[4] سورة الأحزاب، الاية52.

4/- إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بغير خديجة قبل الإسلام وقد قضى معها شبابه حيث مكث معها 25سنة فأين المتعة والشهوة؟[1].

5/- أن كل زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم كانت ثيبا ولم تكن بكرا إلا عائشة حيث نجد في حديث عن السيدة عائشة رضي الله عنها افرغ الإمام الذهبي رحمه الله براعته البديانية مددا القلمة اللطيف، فأبدع وأحسن، وأجمل وأنصف، وتحدث فقال في صفتها رضي الله عنها: " كانت امرأة بيضاء جميلة فأبدع، ومن ثم يقال لها الحميراء" ولم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها، ولا أحب امرأة حبها".

6/- إن أكثر زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وهبن أنفسهن له وهن من الأرامل اللواتي تزوجت بعد أن تكرهن أزواجهن من غير معين لهن فكان للنبي صلى الله عليه وسلم هو المعين لهن بعد ربهم[2].

وفي ذلك نجد المستشرق الانجليزي مونتغمري وات Montyonery watt في كتابه "محمد في المدينة" يلاحظ انه لم يكن في حياة محمد الجنسية ما يحمل معاصريه على الحكم عليه بأنه لا يتفق مع نبوته، فمن المؤكد أنه كان يسيطر تماما على عواطفه أمام النساء، وأنه لم يتزوج إلا إذا كان هذا الزواج مستحسنا سياسيا أو اجتماعيا".

ولقد علل مونتغمري وات Montyonery watt زواج النبي محمد صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة بصورة مادية بحتة فقال: "لأنه يعني له صلى الله عليه وسلم صفقة كبيرة

[1] محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص37.

[2] صلاح الدين محمود سعيد، زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ج1، دار البيان العربي، د.م.ن، 2006، ص87.

لسبب واحد انه أعطاه فرصة ممارسة مواهبه بنشاط بشكل رئيسي في التجارة المكية، هما مكنه الانخراط في مشاريع مربحة[1].

وفي الأخير لا أنفي الحاجة الإنسانية في زواجه ولا تستحي من ذكرها، فهي حاجة خلقية تشمل جميع الرجال الاسوياء، ولكننا نحاول أن نضع الأمور في نصابها ومكانها.

كانت تلك ردود مختصرة على ما أثير ويثار عن حالات زواجه صلى الله عليه وسلم، وهي شبهات قديمة تتكرر بين الفينة والأخرى، ولا تقوم على أساس علمي نزيه، وإنما هي شبه وتخيلات تغذيها أحقاد وضغائن، سرعان ما تنقشع عند فحصها واختبارها، فتتكشف حين تتكشف عن جلال وعظمة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: قضية الحجاب:

زعم بعض اعداء المسلمين، وبعض الجاهلة من ابناءه، ان الحجاب الذي فرضه الاسلام على المرأة فيه كبت لها، وتضييق عليها، وعدم ثقة بها وتقييد لحريتها، وانه يعتبر عائقا ام حريتها، وفي هذا انجدهم يقولون: ان حجاب المرأة يعطل نصف المجتمع اذ ان الاسلام يأمرها أن تبقى في بيتها.

*ونجد اخرون يقولون: " ان الحجاب يسهل عملية اخفاء الشخصية، فقد يتستر وراءه بعض النساء اللواتي يقترفن الفواحش، وهذا يعني[1] ان الحجاب لم يردع الفاسدة عن فسادها بل ساعدها على اخفاء ما تعلمه.

[1] مونتغمري وات، محمد في مكة، تر: عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994، ص24.

*اما المستشرق دافيد صمويل مرجليوث (David Samuel Margoliouth 1858-1940) يذكر في كتاب الديانة المحمدية عن الحجاب " ان الحجاب يقود الى تعدد الزوجات ! لانه مادام الرجل يتزوج دون ان يرى زوجته فهي مسألة يا نصيب فعلية ان يسحب اكثر من ورقة لعل احداها تكون الرابحة" !! [2]

الرد على الشبهة:

*إن الاصل في المرأة أن تبقى في بيتها، قال الله تعالى((وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى))[3]، ولا يعني هذا الامر اهانة المرأة وتعطيل طاقتها بل هو التوظيف الامثل لطاقاتها.

-ليس في حجاب المرأة ما يسفها او يعيقها عن العمل المسموح به لها، ولا يحول بينها وبين اكتساب المعارف والعلوم، بل انها تستطيع ان تقوم بكل ذلك مع المحافظة على حجابها وتجنبها الاختلاط المشين.

وامثلة حية كثيرة من طالبات اللاتي ارتدن الثوب الساتر، وابتعدن عن مخالطة الطلاب كن المتفوقات، وحزن على تقدير واحترام من جميع المدرسين والطلاب.

-ان خروج المرأة ومزاحمتها الرجل في اعماله وتركها الاعمال التي لا يمكن ان يقوم بها غيرها هو الذي يعطل نصف المجتمع، بل هو السبب في انهيار المجتمعات، وفشو الفساد

[1] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 188.

[2] أنور محمود زناتي، معجم افتراءات الغرب على الاسلام، ص130.

[3] سورة الاحزاب، الاية 33

وانتشار الجرائم، وانفكاك الاسر، لان مهمة رعاية النشيء وتربيتهم والاهتمام بهم وهي من اشرف المهام واعظمها واخطرها اضحت بلا عائل ولا رقيب[1].

وفي هذا نجد منى عبد الله ماكلوسكي Muna A.Maclosky تقول: " ان الاسلام يحضنا نحن النساء على القيام بالعمل المثمر، شريطة ان نلتزم بالحشمة في لباسنا وان نستر جمال اجسادنا، وعلينا ان نكون جادين في حديثنا، وهكذا الاسلام لا يمنع المرأة من ممارسة عمل شريف يناسب طبيعتها"[2]

كما نجد كوستاف لوبونGustave Lebon يقول:" إن المرأة في الشرق تحاط برقابة شديدة ولا يزورها رجل، ولا تخرج من بيتها الا مبرقعة، واذا عدوت الاستانة وجدت النساء الشرقيات مصحوبات على العموم، ولا يتعرض احدهن الا نادرا، ولا نعجب كثيرا اذن من قول الشرقيين ان نساءهم أفضل من الاروبيات[3].

*شرع الاسلام للمرأة ان تستر وجهها لان ذلك ازكى لها واطهر، والعاقل الذي يدرك من سلوك المرأة التي تبالغ في ستر نفسها ان هذا دليل الاستعفاف والصيانة، اما التي تتبرج وتظهر زينتها فهذا دليل وقحتها، وقلة حيائها، وهوانها على نفسها، ومن ثم فهي الاولى ان

[1] صفا حسين عاشور، المرجع السابق، ص 193.

[2] انور محمود زناتي، المرجع السابق، ص131.

[3] غوستاف لون، حضارة العرب، المرجع السابق، ص409.

يساء الظن بها، وبسلوكها، حين تعرض زينتها كالسلعة، فتجر على نفسها وصمة خبث النية، وفساد الطوية وطمع الذئاب البشرية[1].

ان المسلمة التقية الملتزمة بالحجاب هي التي جاء في كتاب الله: ((إن المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات والفاتنين والفاتنات والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم ومغفرة واجرا عظيما))[2].

فالاسلام كما يأمر المرأة بالحجاب يأمرها ان تكون ذات خلق ودين، وانه يربي من تحت الحجاب قبل ان يسدل عليها الحجاب ويقول لها : ((ولباس التقوى ذلك خير))[3] حتى تصل الى قيمة الستر والاحتجاب، ولا يمكن لامرأة تضع الحجاب على رأسها ان تحجب عن الناس اخلاقها وتعاملها، واللاتي يحاولن ان يسترن على اعمالهن يسئن الحجاب، ولا احد ينكر ذلك، ولكن لا يمكن ان نأمرهن بنزع الحجاب، وليس معنى ذلك ان الحجاب سيء بسوء اصحابه، وحسن بطيب اصحابه، بل من الواجب علينا النصح بسائر المسلمات بالالتزام الصحيح بالحجاب فربما كانت هذه جاهلة بأهمية الحجاب وحقيقته.

[1] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 189.

[2] سورة الاحزاب، الاية 35.

[3] سورة الاعراف، الاية 26.

واذا كان التخوف من سوء استغلال الحجاب مخترة محملة، الا ان المخترة بالتبرج والصفور بنشر الفاحشة، وفتح ذرائعها اكيدة، وهذا ما يلاحظه ويقطع به كل عاقل[1].

لو أن رجلا انتحل شخصية قائد عسكري كبير، وارتد زيه، وتحايل بذلك استغل هذا الثوب في ما لا يباح له، كيف تكون عقوبته !؟ وهل يصلح سلوكه ان يكون مبررا للمطالبة بإلغاء الزيّ المميز للعسكرين مثلا خشية ان يسيئا حدا استعماله؟

ولو خان الجندي بلاده هل نطالب بتسريح الجيش كله والغاء الشيء يسمى القوات المسلحة؟ الجواب لا، فإذا كان الجواب لا، فلماذا يقف أعداء الله من الحجاب هذا الموقف المعادي؟ او لماذا يثيرون حوله الشائعات الباطلة المغرضة؟

فوضع الحجاب إذا من بعض الجاهلين به والمسيئين له لا يعني أن تتخلى عنه النساء !

فما ذنب الحجاب إذا حاولت فاسقة مستهرة ان تتجلبب بجلباب الحياء، وتتوارى عن الأعين بارتداء شعار العفاف ورمز الصيانة، وتستر عن الناس افاتها وفجورها[2].

وفي هذا نجد روز ماري تقول: " الحجاب شيء أساسي في الدين الإسلامي، لان الدين ممارسة عملية أيضا، والدين الإسلامي حدد لنا كل شيء، كاللباس، والعلاقة بين الرجل والمرأة، ويحميها من نظرات الشهوات، ويحفظ كرامة المجتمع، ويكف الفتنة بين أفراده، لذلك

[1] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 190.

[2] المرجع نفسه، ص 191-193.

فهو يحمي الجنسين من الانحراف، وأنا أؤمن إن السترة ليست في الحجاب فحسب بل يجب أن تكون العفة داخلية أيضا، وان تتحجب النفس عن كل ما هو سوء[1] .

ان الحجاب الذي فرضه الإسلام على المرأة لم يعرفه العرب قبل الإسلام، بل لقد ذمّ الله تعالى تبرج نساء الجاهلية، فوجد نساء المسلمين إلى عدم التبرج حتى لا يتشبهن بنساء الجاهلية، فقال جل شأنه : ((قرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)).

وكان من ضمن عاداتهم الذميمة خروج النساء متبرجات كاشفات الوجوه والأعناق، باديات الزينة ففرض الله الحجاب على المرأة بعد الإسلام ليرتقي بها ويصون كرامتها ويمنع عنها أذى الفساق والمغرضين.

إذا كانت النساء المسلمات راضيات بلباسهن الذي لا يجعلهن في زمرة الرجعيات والمتخلقات كما الذي يضير التقدميين في ذلك التقدميين في قضية فردية شخصية كهذه؟ !

من العجب ان تسمع منهم الدعوى إلى الحرية الشخصية وتقديسها.

فلا لا يجوز أن يمسها احد ثم هم يتدخلون في حرية غيرهم في ارتداء ماشاؤوا من الثياب.

ان التخلف له أسبابه والتقدم له اسبابه واقحام شريعة الستر والأخلاق في الأمر خدعة مكشوفة لا تنطوي إلا على متخلف على مستوى الفكر والنظر ومنذ متى كان التقدم والحضارة متعلقين بلباس الإنسان بعقله وأعمال فكره ولم تكن بثوبه ومظهره.

ثالثا: قضية الشهادة:

[1] انور الجندي، رجال ونساء اسلموا، المرجع السابق، ص 5-25-26.

قالوا إن الإسلام انتقص المرأة وعاملها دون الرجل فجعل شهادتها على النصف من الرجل وفي هذا هدر لإنسانيتها وكرامتها مستشهدا بقول تعالى: ((واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر احدهما الأخرى))[1].

الرد على الشبهة:

-الأمر الوارد في الآية ليس موجها إلى القاضي والحاكم كما يظن الكثيرون، إنما هو لصاحب المال الذي يداين آخر، فأمره الله بكتابة الدين لحفظه، فان عجز عن ذلك، فليستشهد عليه شهيدين من الرجال، او رجل وامرأتين، حتى لا يضيع حقه بنسيان المرأة لواحدة لمثل هذا الأمر، الذي لا تضبطه النساء عادة، وقد عللت الآية السبب الذي لأجله طلب الله من صاحب الاستيثاق لما له بشهادة امرأتين أو رجل واحد، ((أن تضل احدهما فتذكر إحداهما الأخرى))، أي خوف نسيانها فحسب، لان المسائل المالية مما لا تضبطه النساء ولا تعنى به عادة.

وضلالها وخطؤها ينشأ من أسباب مادية بحتة، لعل أهمها قلة خبرة المرأة بموضوع التعاقد، مما قد يجعلها غير حافظة لكل حقائقه وملابساته.

[1] سورة البقرة، الاية 282

لكن هذا لا يعني أن شهادة المرأة في المحاكم والقضاء بنصف شهادة الرجل، فالقاضي يقضي بما يتيسر به من الأدلة[1].

رابعا: قضية الميراث:

إن الإسلام ظلمها حينما جعل ارثها نصف ارث الرجل.

الرد على هذه الشبهة:

-ان الإسلام حصر الإرث في قريب المتوفي الذي يرتبط به نسب أو زواج وجعل نسبة الأولاد بنين وبنات لا تنقص عن نصف التركة وهي نسبة كبيرة.

إن الإسلام يراعي مقدار حاجة الوارث فكلما كانت حاجة الوارث اشد كان نصيبه اكبر، فنصيب الابن أكثر من نصيب الأب لأنه اشد حاجة من حاجة الأب ولذلك كان نصيب الذكر ضعف الأنثى لان تكاليفه ونفقاته أكثر، فهو المكلف بالمهر والسكن وعليه نفقة زوجته وأولاده وعلى ذلك فكون المرأة نصف الرجل هذا لأنها اقل حاجة للمال من الذكر ولا علاقة لها بكونها أنثى[2].

خامسا: قضية الدية:

إن أعداء الإسلام أثاروا شبهات حول قضية الدية، حيث جعلت الشريعة دية المرأة التي قتلت خطأ أو التي لم يستوجب قاتلها عقوبة القصاص لعدم استيفاء شروطه، بما يعادل نصف دية الرجل.

[1] مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، االمرجع السابق، ص31-32.

[2] صفا عوني حسين عاشور، المرجع السابق، ص 207-208.

وقد استغرب بعض خصوم الإسلام هذا بعد أن قرر الإسلام مساواة المرأة بالرجل بالإنسانية والكرامة الاجتماعية واعتبروا أن هذا ظلما لحقوق المرأة[1]

الرد على الشبهة:

نعم أن دية المرأة نصف دية الرجل، والسبب في يذلك ان الدية ليست تقديرا لقيمة مقتول الإنسانية، إنما هي تعويض مادي لا معنوي لأهل القتيل جزاء ما لحق به من ضرر مادي.

اما في القتل العمد يوجب القصاص من القاتل سواء كان المقتول رجلا او امرأة و سواء القاتل كان رجلا او امرأة وهذا الآن في القصاص يقص من إنسان لإنسان والرجل والمرأة متساويان في الإنسانية، اما في القتل الخطأ وما أشبهه فلا بد من التعويض المالي والعقوبة بالسجن أو نحوه والتعويض المالي يجب أن تراعي فيه الخسارة المالية قلة وكثرة ولا يقول عاقل بأن خسارة الأسرة المالية بفقد الرجل كخسارتها بالمرأة؟

ان الأولاد الذين قتل أبوهم خطأ والزوج التي قتل زوجها خطأ فقد فقدوا ما عليهم الذي كان يقوم بالإنفاق عليهم والسعي في سبيل إعاشتهم.

إما الأولاد الذين قتلت أمهم خطأ والزوج الذي قتلت زوجته خطأ فهم لم يفقدوا فيها إلا ناحية معنوية لا يمكن أن يكون المال تعويضا عنها.

لا توجد قيمة معينة موحدة للدية؟ وذلك لأنها تعويض مادي، وهذا الأخير بقدره فتفرضه الظروف وتغيره أحوال الناس.

[1] مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، مرجع سابق، ص37-38.

ومما يؤكد هذا المعنى ان القوانين في الكثير من الدول العربية جعلت للدية حدا اعلى وحدا ادنى، وتركت للقاضي تقدير الدية بما لا يقل عن الادنى ولا يزيد عن الاعلى وما ذلك الا لتفسح المجال لتقدير الأضرار التي لحقت الأسرة من خسارتها بالقتيل وهي تتفاوت بين كثير من الناس ممن يعملون ويكدحون فكيف لا تتفاوت بين من يعمل وينفق على اسرته وبين من يعمل ولا يكلف على احد بل كان ممن ينفق عليه.

اما في المجتمعات التي تقوم فلسفتها على عدم إعفاء المرأة من العمل لتعيل نفسها وتسهم في الانفاق على بيتها وأطفالها فان من العدالة حينئذ ان تكون ديتها اذا قوتلت معادلة على العموم لدية الرجل القتيل[1].

سادسا: قضية الطلاق والرد على الشبهة:

اتخذ أعداء الإسلام من إباحة الإسلام للطلاق منطلقا للتهجم عليه وزعموا ان في ذلك اهانة لكرامة المرأة وسببا في تشرد الأولاد، ويعترض الكثير منهم على كون الطلاق بيد الرجل ويرون ان جعله بيد القاضي أكثر ملائمة باعتباره اكثر إنصافا وان ذلك يحرر المرأة من حق يتمسك به الزوج، اصب جائرا جدا بحقها، يقول الدكتور خالد عبد الرحمن العكي في هذا الصدد : يعيب علينا المتعصبون من المستشرقين المحترفين ان الإسلام يبيح الطلاق والتفرقة بين الزوجين، مع ان الاسلام كان مثلا للانسانية والعدالة حينما اجاز الطلاق عند استمرار النزاع، واشتداد الخلاف، واستحالة ايجاد حياة سعيدة هادئة، هنيئة، موفقة بين الزوج

[1] المرجع نفسه، ص38-39

وزوجه، ولو وازنوا بين الديانات لأدركوا ان قوانين الطلاق في الاسلام اعطت المرأة حقها اكثر من اي دين اخر، وخاصة من ناحيتي الانسانية والعدالة، ولو درسوا تاريخ الامم والاديان لعلموا ان الاسلام لم يكن الاول من اباح الطلاق، فقد كان منتشرا لدى العرب قبل الاسلام، شائعا بين الرومانيين والاثينيين ومباحا لدى اليهود في ديانة موسى عليه السلام، مباحا لدى المسيحيين، اذ ثبت الزنا[1]، ثم ان المجتمعات التي صدرت منها صرخات الهجوم والتجريح للاسلام بسبب اباحته الطلاق هي نفسها المجتمعات التي تعاني الان من تفسح العلاقات الزوجية وتفشي الرذائل الخلقية بسبب التشدد في الطلاق والتفريق بن ازواج لا تربطهم روابط الالفة والمحبة ولا تقوم الحياة الزوجية على اساس الاحترام المتبادل والتعاطف بين الزوجين، وفي هذه المجتمعات نرى اليوم ونسمع ونقرأ عن محاولات عديدة للتهرب من قيود الطلاق، ومطالبات في داخل قلاع الهجوم هذه اباحة الطلاق كحل اجتماعي ضروري لمعالجة الخلافات الزوجية التي يستعصي حلها مع وجود الزوجين كل منهما مع الآخر[2]، ولهذا نجد في اروربا ان القوانين فيها اخذت تجيز الطلاق مع ان الكنيسة النصرانية بتعاليمها المحرفة لازالت تحضر الطلاق حتى مع ثبوت الخيانة الزوجية، وكانت فقط تحكم بالتفريق الجسدي بين الزوجين مما سبب مشاكل اجتماعية خطيرة، الامر الذي دفع بعض الدول الغربية وفي مقدمتها الفاتيكان الى اباحة الطلاق وان كان بشروط متشددة، ووجدوا في

[1] خالد عبد الرحمن العكي، بناء الاسرة المسلمة في ضوء القران والسنة، ط4، دار المعرفة، بيروت– لبنان، 2001م، ص328.

[2] سعاد صالح، الاسرة العربية في الوجه التحديات والمتغيرات المعاصرة، ط1، دار ابن حزم، بيروت– لبنان2003–ص93

بعض تشريعات الاسلام كتشريع الخلع المنفذ لعلاج القضايا المتراكمة لطلب الانفصال عندهم[1].

وفي الرد على الادعاء القائل بأن جعل الطلاق بيد القاضي سيؤدي إلى تقليص ظاهرة الطلاق، يقول الدكتور المقرئ الادريسي أبو زيد لا يوجد أدنى استدلال على هذه المسلمة ولو برقم واحد ولا إحصائيات من تونس أو مصر أو اوروبا او امريكا...كلام عام بلغة ديماغوجية تتبع منها نفحة اليسار من خلال استمرار في الحديث عن الصراع الطبقي والحديث عن المرجعية والشرعية الدولية، والالتزام بمقرراتها[2].

وتذهب خديجة مفيد في تعقيب لها على مقالة الى ان المطالبة بوضع قرار الطلاق بين القاضي يستهدف نقل اكبر السلبيات التي يعاني منها القضاء الاروبي والتي يسعى الى تعميمها المخطط الدولي في العالم الاسلامي ومع كامل الاسف تخشى عيون الابواق بالواقع المعيش فتمنعها من ادراك خلفية قرار الطلاق بين القاضي، وهكذا يبدوا التوجه العلماني من خلال هذه نقط سافر. اذ نجد عجزا تاما عن الاجتهاد في الواقع من احكام الشرع حيث الحاجة الى اصلاح المسطرة المدنية... وتيسير النفقة والدعوة الى تحمل الدولة مسؤوليتها فيما يلحق المرأة والاولاد بعد الطلاق بتوفير كل ما يضمن كرامتها وكرامة ابنائها بدلا الى الدعوى الى وضع الطلاق في يد القاضي، وكلنا يعرف حقيقة وواقع القضاء المغرب، فكيف ندعو الى حل مشكل المرأة المغربية بالمزيد من تعقيده.

---

[1] المرجع نفسه، ص 58.

[2] ابو زيد، منهجية الخطة واطارها المرجعي، ط1، باريس، الرباط 1999، ص06

ان الطلاق في الاسلام مهما وضع الشارع من عقبات فهو فيالاصل حق خاص بالزوجين لا يجوز ان يتدخل القاضي في امره الا بناءا على طلب احدهما او في حالات مخصوصة شرعت في مصلحتها ومصلحة المجتمع[1]، انه خير الف مرة ان تملك الزوجة حق الطلاق باذن القاضي او قراره حيث يتدخل في كل صغيرة او كبيرة فيحجر على ارادة القاضي محل ارادة الزوجين في مفارقة بعضهما وتحل ارادة القاضي محل ارادة الزوجين، وهذا ما يئباه الاسلام لانه يتنافى مع مصلحة الأسرة[2].

المطلب الثاني: نماذج من المستشرقين المهتمين بقضايا المرأة:

ممن كرس دراساته لقضايا المرأة والأسرة المسلمة المستشرق الألماني "جوزيف شاخت" (Schcht joseph 1902-1969) الذي اهتم في إنتاجه بالفقه الإسلامي، بتحقيق عدة نصوص والتعليق عليها، وبخصوص الأسرة في الإسلام نشر مقالات كثيرة في الميراث والنكاح، والطلاق وأم الوليد والوصية، وكلها كانت في سنة 1914م.

وجاء بعده "إروين كريف (Grof Erwin 1914-1976) وهذا المستشرق كان اهتمامه بالفقه الإسلامي بصفة عامة الذي أصدره بعنوان " الأسرة الجديدة إلى الأسرة المسلمة في التشريع الإيراني الحديث الخاص بالزواج والطلاق والميراثé.

[1] المرجع نفسه، ص70.

[2] عبد الرحمان الصابوني، نظام الاسرة لحل مشكلاتها في ضوء الاسلام، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت 2001، ص161.

وهذا البحث نشره عام 1966م، وفي سنة 1977 اصدر بحثا آخر تحدث فيه عن تنظيم النسل وتحديث النسل" ومنهم المستشرق الفرنسي " ليون برشي" (Berche lion 1955-1889)، الذي ترجم كتاب (الرسالة) لابن أبي زيد القيرواني، وعلق عليها باللغة الفرنسية، وكان تركيزه على أحكام الأسرة وأحوالها.

والمستشرق الهولندي "تيودور يونبول (Theodor villen juynboll 1866-1948) الذي حصل على شهادة الدكتوراه في قسم الاستشراق برسالتين بين المهر في الإسلام، وبين الطابع القانوني للزواج في الجاهلية.

هؤلاء المستشرقون ودراساتهم هي نموذج لجهد بحثي كبير، قام به المستشرقون لسير اغوار العالم الإسلامي خاصة قضايا المرأة والأسرة، وكانت هذه الدراسات هي الأساس المعرفي لممارسات القادة في الغرب[1].

الورد كرومر (Lord Cromer 1841-1917) : وكان من أهم الشخصيات التي تأثرت بآراء ودراسات المستشرقين عن الإسلام هو اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر، بل أن كرومر نفسه يعتبر احد المستشرقين وله دراسة عن مصر ضمنها آراؤه عن الإسلام تحت عنوان: "مصر الحديثة".

لذلك نجد أن اللورد كرومر تبنى دعوة قاسم أمين لتحرير[1] المرأة وعمل على دعم الدعوة وتجنيد العديد من الرموز الثقافية المصرية لنشرها، ففي عام 1884" أي بعد الاحتلال

[1] اد.محمد خروبات، لأسرة المسلمة في معركة القيم، مجلة البيان، العدد 194، ص14.

البريطاني بعام واحد نشر كتاب لمحام مصري موال لكرومر والنفوذ الأجنبي يدعى: "مرقص فهمي" تحت عنوان: " المرأة في الشرق "صور فيها خطة الاستعمار في المطالبة بتحقيق أربعة أغراض:

أولا: القضاء على الحجاب الإسلامي.

ثانيا: إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها.

ثالثا: تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضي.

رابعا: منع الزواج بأكثر من واحدة.

خامسا: إباحة الزواج بين وغير المسلمين.

وكان هذا المخطط هو النواة الأساسية للنفوذ الأجنبي الذي يمكن على ضوئه فهم حركة قاسم أمين وهدى شعراوي، ذلك أنه لم تمض خمس سنوات حتى ظهر كتاب "تحرير المرأة" وقد تبناه الاحتلال وعمل على نشره.

ادوار أخرى:

لم يقتصر تأثير المستشرقين على تشكيل القاعدة المفاهمية للساسة في الغرب عن العالم الإسلامي، بل أنهم حلوا أساتذة مدرسين في جامعات العالم الإسلامي، وعلى أيديهم ترتب أجيال من النساء والرجال، وسار في فلكهم كثير من الكتاب والباحثين العرب المحدثين في مطلع هذا القرن وأصبح لهم تلاميذ من جلدتنا يتبنون آراءهم ويدافعون عنها.

[1] انور الجندي، رجال اختلف فيهم الرأي من أرسطو إلى لويس عوض، ص 4-7.

هذا بالإضافة إلى أنهم لقنوا أجيالا كثيرة من الطلبة الوافدين على الجامعات الغربية، وهذا كان له اثر بليغ في ترويج الشبه ونشر إيديولوجيا (أفكار) الاستعمار الحديث، خاصة أن الدولة الوطنية الحديثة في بداية تكونها أعطت الأسبقية في التوظيف لحملة الشهادات الغربية، فتمركزوا في المناصب العليا وعهد إليهم تقرير مصير الثقافة في هذه الدول، فصبغت حياة تلك الدول بالصبغة الغربية، وتبنوا دعوة تحرير المرأة وطالبوا بضرورة خروج المرأة من بيتها، ومن أشهر النماذج لهؤلاء رفاعة رافع الطهطاوي الذي تولى نضارة مدرسة الحربية، وطه حسين الذي أصبح فيما بعد وزيرا للتربية والإسلام[1].

مصطفى كمال أتاتورك (Mustapha Kamel Ataturk 1881-1938): هو من أصل يهودي حيث أن أجداده اليهود فروا من أسبانيا إلى مدينة سالونيك وذلك فرارا من محاكم التفتيش التي كانت تحكم بإحراق اليهود أحياء، وقد تظاهر أجداد أتاتورك باعتناق الإسلام حتى يأمنوا على أنفسهم من بطش سلاطين الدولة العثمانية.

فكان وصول أتاتورك إلى السلطة والحكم هو الثمن الذي قدمه له الانجليز مقابل قضائه على دولة الخلافة الإسلامية واستبدال أحكام الإسلام في تركيا واستبدال الحروف العروف العربية إلى اللاتينية والهدف من ذلك هو أبعاد العرب عن كل ما له صلة بالعرب والإسلام، وقد كان هذا الرجل آلة من آلات التدمير التي صنعها الغرب لحسابه.

[1] أنور الجندي، المرجع السابق، ص 19-20.

وقد عاش في أحضان جمعية الاتحاد والترقي والتي كانت لها دور في تدمير الخلافة الإسلامية، وقد كانت نهاية هذا الظالم الطاغية عبرة واعظة لمن أراد ان يتغظ ويعتبر فلقد سلط الله عليه نملا دقيقا ولم ينتبه أطباؤه إلى هذا لنمل إلا بعد أن أكمل النمل مهمته تلك هي سنة الله تعالى في الظالمين.

أما عندما دعا مصطفى كمال اتاتورك لانحلال المرأة وإتباع الغرب بكل شيء سطر الرافعي ذاك شعرا حيث كتب قصيدة عنوانها (التبرج) يخاطب فيها المرأة المسلمة قائلا:

اما تخشين انك في طريق

يرق به الحرام على حلالك؟

وأن ذئاب هذا الحسن تمشي

مسعرة اللحاظ على غزالك؟

وحالك للابوة كل عار

وعار للنبوة كل حالك

برزت لقتل ذلك ام لهذا؟

فما هذا ذلك من رجالك؟[1]

أعمال مصطفى كمال أتاتورك:

[1] اندرومانجو، أتاتورك السيرة الذاتية لمؤسس نركيا الحديثة، تر: عمر سعيد الايوبي، ط1، دائرة الثقافة والسياحة، 2014، ص9-21.

1/-قضى على اللغة العربية واستبدلها بالاتينية حتى أن المصحف الشريف كان يطبع بالاتينية.

2/-حرم تعدد الزوجات وجعل للقضاء وحده الفصل في طلب الطلاق.

3/-ألغى قوانين الأحوال الشخصية النابعة من الشريعة الإسلامية.

4/-غير قوانين الميراث فسوى بين الرجل والبنت.

5/-شجع على شرب الخمر وأباح للمرأة التركية السفور وان تتزوج بمن تشاء من أي دين.

6/- شجع على شرب الخمر والاتصال بالنساء وإخراج المرأة إلى المراقص.

7/- حطم ما هو إسلامي وغير وجهة الشعب التركي.

8/- ألغى الأوقاف الإسلامية.

9/-جعل الأحد إجازة أسبوعية بدل الجمعة.

10/- منع الآذان في المساجد.

11/- ألغى الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى.

12/- قبل موته أوصى إلا يصلى عليه[1]

[1]مصطفى كمال اتاتورك، الرجل الصنم، تر: عبد الله عبد الرحمن، ط1، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 2013، ص 430-450.

13/-ألغى الحجاب وأباح للمرأة التركية السفور وان تتزوج بمن تشاء من أي دين، حيث نجده يقول: لم الغ في تركيا الحجاب فقط، بل ألغيت الطربوش كذلك، لم أكن استطيع تحمل منظر الطربوش أبدا، لان الطربوش كان بالنسبة لي رمزا لتأخرنا ولتعصبنا[1].

ونجد أتاتورك يقول كذلك: أنا لا أتزوج من اجل الزواج بحد ذاته، ويجب عليّ انا بالذات ان أتقدم بقدوة حسنة، وذلك من اجل خلق حياة أسرية جديدة في وطننا، فهل يجب على النساء أن يبقين خادمات إلى الأبد؟[2].

ولعل من الاصوب وصف اتاتورك بأنه كان عدوا للرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يكون عدوا لله، هذه العداوة التي تؤدي بطبيعة الحال إلى عداوة الله، هي أفظع من عداوة الله[3].

وثمرة القول : ان معاني النظر في الواقع التطبيقي للوسائل الشرعية لانهاء العلاقة الزوجية الطلاق، الخلع، والتطليق للضرر...يوصلنا الى ان الوسيلة الشرعية هي التي تؤدي المفاسد، بل سوء تطبيقها هو السبب ولذلك كان الواجب هو اقتراح سبل ازالة السبب لا لاقتراح الغاء الحكم[4].

وفي الاخير نقول بان هذه الشبهات والاقوال مجتمعة للغربيين تؤكد ان المرأة مستهدفة في دينها وقيمها ومغرر بها لتقبل بعض انماط من السلوك والاوضاع الغربية المتناقضة مع

[1] المرجع نفسه، ص 299.

[2] المرجع نفسه، ص258.

[3] المرجع نسفه، ص224.

[4] المرجع نفسه، ص406.

الفطرة السوية والمناقضة لقيم الاسلام، والمخالفة لشريعة الله، لذا فهي في نظرة المستشرقين الحاقدين بها وصف بالتطرف والجمود والرجعية.

اذا التزمت بدينها فهي متطرفة بزيها الواسع الفضفاض، ومتطرفة، في رفضها الاختلاط والتبرج والسفور متعصبة في دفاعها عن قضايا المسلمين، ومتزمتة في حرصها على تلقين اولادها مفاهيم الاسلام بنما يكون النموذج الغربي والاعتدال المقبول الذي يجب على نسائنا الالتزام به، ولذا فعلى المرأة المسلمة ان تحذر من هذه الخداعات والاوهام، ولتعلم جيدا ان هذا هو الاستعمار الفكري بعينه، يريد ان يصنع في بلاد المسلمين اجيالا بعيدة عن هدي الاسلام واخلاقه الفاضلة لتضع المرأة حبلها على غاربها، حتى تثبت وجودها وتبرز كالرجل ومما يدعوا للأسف ان الغزو الفكري قد نجح في إدخال المرأة كسلاح رهيب في معركته ضد الإسلام، لذا جاءت أجيال توجه ولاءها للغرب والشرق، ولا تحمل من الإسلام الا اسمه، ولا تصرف همها الا في الشهوات.

الفصل الثاني: قراءة في كتاب الاكتراث بحقوق الإناث لمحمد بن مصطفى ابن الخوجة الجزائري

المبحث الأول: شخصية محمد ابن الخوجة، اهتماماته وقضاياه **(1865-1915)**

المبحث الثاني: التحليل الاستقرائي لكتاب الاكتراث بحقوق الإناث.

تـمهيد:

يعد الشيخ محمد بن مصطفى ابن الخوجة من علماء مدينة الجزائر وإقليم متيجة العاملين، ومن المصلحين الأوائل الذين حاربوا البدع والخرافات في الجزائر وسلكوا مسلك الشيخ محمد عبده في الإصلاح الديني والاجتماعي، حيث لعب دورا كبيرا في تثقيف المجتمع الجزائري وفي تنويره حتى أثنى عليه الشيخ المصلح محمد رشيد رضا بقوله ".. ومن خيار الجزائر الشيخ محمد بن مصطفى ابن الخوجة صاحب المصنفات .." فمن يكون؟ وكيف تكونت شخصيته، وما هي أبرز قضاياه ،واهتماماته؟. [1]

[1] علي لونيس ، متيجة في الزمن المعاصر ،مجلة متيجة للدراسات الإنسانية ،العدد 06 ،الجزائر ، ديسمبر 2016 ، ص 69.

المبحث الأول: شخصية محمد بن مصطفى ابن الخوجة ،قضاياه، و اهتماماته.

المطلب الأول: شخصية ابن الخوجة – النشأة والتكوين (1865 – 1915).

أولا: مولده

ولد محمد بن مصطفى ابن الخوجة الملقب بالكمال، بمدينة الجزائر في شهر شعبان صبيحة يوم الاثنين من سنة 1282هـ الموافق (1865، ينتمي إلى بيت حسن باشا، وجدته من أبيه تنتمي إلى نسل الشيخ الحاج محمد بن جعدون المعروف وسط قومه، نشأ وسط عائلة معروفة بالورع والتقوى، وكان يعتبر نابغة الجزائر، إذ كان فقيها مصلحا، مجددا وأدبيا عبقريا.

وتشير الدراسات التاريخية أن من صفاته الجسمانية أنه قوي البنية، ممتلئ الجسم شبهه مشايخه بالمضربة وهي نوع من الفراش الضخم، كان ذا وجه حسن، أبيض البشرة، يرتدي ملابس أهل الحضر الجزائريين، كالجبادولي والسراويل العريضة، والعباءة والبرنس، وعلى رأسه قلنسوة تونسية حمراء[1].

كما أنه كان يرتدي العمامة من حين لآخر عندما يجلس لختم صحيح البخاري ليلة السابع والعشرين من رمضان بجامع سفير، وقد كانت العمائم التي يرتديها في الغالب شبيهة بعمائم الشرق المبرجة المستعملة لدى علماء الأتراك في عهد الدولة العثمانية بالجزائر، وانجب ابن الخوجة ولدا واحدا سماه محمد الكمال.

[1] علي تابليث ،أعمال محمد بن مصطفى ابن الخوجة ،منشورات ثالة ،الجزائر ،2012 ، ص 09.

والظاهر أن ابن الخوجة قد تربى تربية إسلامية، إذ كان حافظا للقرآن الكريم والحديث الشريف، كما كان يحفظ أشعار وخطبهم، ملما بالشريعة الإسلامية واللغة العربية.[1]

ثانيا: نشأته.

الظاهر أن ابن الخوجة نشأ تنشئة دينية، وسط عائلة متدينة وشريفة معروفة بالورع والتقوى ودرس بالعاصمة على يد شيوخ عصره الشيخ سعيد بن زكري، والمفتي علي ابن الحفاف، وكان رحمه الله ملتهب الذكاء، سلفي العقيدة، صريح القول،فصيح العبارة قولا وفعلا، نثرا وشعرا .

ويبدو أنه كان شجاعا لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يبالي بما لا يلاقيه في ذلك من نكران أو جحود أو عناد، ذا أدب جم وعلم وافر بهر به أقرانه، وكان واسع الاطلاع على آداب اللغة العربية، وأسرار الشريعة الإسلامية وأحكامها السمحة.

وقد كان ابن الخوجة عصاميا في اكتساب ثقافته وتكوين نفسه، ولم يدرس سوى بالعاصمة حيث لم يدرس بالزوايا الداخلية أو المعاهد الإسلامية وبها حفظ القرآن الكريم وأطلع على علوم اللغة العربية وتابع حلقات الدروس في المساجد والزوايا، ودخل الكتاب وعمره خمس سنوات، وختم سورة البقرة قبل الختان، وأتم حفظه للقرآن الكريم وهو ابن الحادية عشر من عمره.

[1] المرجع نفسه ، ص 10 ،11

إضافة إلى أنه قرأ الأجرومية على يد السيد حفيد الشيخ علي ابن الأمين، والشيخ الفقيه النحوي السيد محمد القزادري، والرجل الصالح الأستاذ الفقيه الشيخ على بن سماية الذي قرأ على يده علم الحساب، ودرس سلم الأخضري على يد النحرير السيد علي بن الحاج موسى، كما قرأ الجوهرة على يد العالم المتفنن الشيخ محمد السعيد الزواوي.[1]

ومما لا شك فيه أنه ختم السمرقندية في الاستعارات وأم البراهين للسنوسي، وحضر دروس العلامة المحقق شيخ الجماعة علي ابن الحفاف في الدارية لصحيح البخاري مدة تقارب الأربع سنين، كما كان كثير الإطلاع على ما يحث في الأوساط الشرقية في العلم والسياسة والاجتماع، وقد كان له شغف زائد بمطالعة الجزائر العربية وخاصة المصرية منها وكانت تتم المبادلة مع جريدة المبشر[2].

ويقول عنه عمر راسم: "أنه شاعر الجزائر وأفصح علمائها، وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر، كثير الإطلاع بكتب عصره، حلو الكلام، وكان إذا خطب يستدل بالآيات والأحاديث"، وأضاف بأنه شاعر وكاتب صحيح تجديد.[3]

ومن مجمل ما قلناه نستخلص أن ابن الخوجة كان يمثل كتلة من الدكاء والنبوغ حتي صار من كبار العلماء، ومن فضلاء العلماء الجزائر، وكان من المتمسكين بالدين الإسلامي، والغيورين عليه والمدافعين عن اللغة العربية.

---

[1] بختة هجوج ،رزيقة محارزي، قضايا الإصلاح لشيخ محمد مصطفى ابن الخوجة (1865 – 1915) مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: اوفة سليم ، جامعةالجيلاني بونعامة خميس مليانة ، 2016 –2017، ص9 ، 10

[2] بختة هجوج، رزيقة محارزي، المرجع نفسه، ص11.

[3] عمار طالبي ،آثار بن باديس ، م 1 ، ط 1 ، د د ن ،1968 ، ص34.

ثالثا: تكوينه والعوامل المؤثرة فيه:

لقد مر بن مصطفى ابن الخوجة في تكوينه بعدة مراحل، حيث أجمل مشواره العلمي في ورقة كتبها بخط يده يقول فيها: "الحمد لله ولدت في ظرف شهر شعبان، صبيحة يوم الاثنين من سنة 1282 هـ، ودخلت الكتاب وفي عمري خمس سنين، وختمت سورة البقرة قبل الإعذار، ووعيت القرآن في صدري وأنا ابن إحدى عشر سنة، وخرجت منه في خمسة عشر سنة من سني، ثم اشتغلت بطلب العلم شهورا يسيرة وأنا ابن الثماني عشر سنة.

فقرأت نبذة من الأجرومية على يد المدرس المشارك الشيخ قدور باصوم، مع نبذة من الألفية من أولها إلى باب المبتدأ عليه أيضا، وقرأت نبذة من الأجرومية على الحسيب السيد محمود حفيد الشيخ علي بن الأمين، وقرأت نبذة من الأجرومية على الشيخ الفقيه النحوي السيد محمد القزادري، وقرأت على الرجل الصالح الأستاذ الفقيه[1]، علي بن سماية الأجرومية بتمامها ما عدا بابي الحال والتمييز، وقرأت عليه "مرقاة الطلاب في علم الحساب".

كما قرأت عليه "مراقي الفلاح" و"شرح نور الإيضاح" للشرنبلالي مع حاشيته للطحطاوي بتمامه، مع نبذة من "مجمع البحرين"، وقرأت على علم النحرير السيد علي بن الحاج موسى نبذة من الأجرومية، ونبذة من "السلم للأخضري"، وقرأت على النير العالم المتفنن الشيخ محمد السعيد الزواوي نبذة يسيرة من الأجرومية، ونبذة الألفية من أولها إلى اسم الموصول ونبذة من السلم، ونبذة من "الجوهرة" للقاني.

[1] المرجع نفسه ، ص 416.

وختمت عليه "السمرقندية" في الاستعارات، و"أم البراهين" للسنوسي، وحضرت دروس العلامة المحقق شيخ الجماعة المرحوم علي بن الحفاف في دراية لصحيح البخاري مدة تقرب من أربع سنين، وطالعت كتبا عديدة في فنون مختلفة، وقد أجازني الفاضل الشيخ السعيد المدرس بالجامع الأعظم بخط يده المباركة، وأذن لي في الإقراء هو وغيره، كالشيخ حفيد الحاج موسى وغيره، وقد شرعت في تدريس "الأجرومية" لبعض الطلبة المبتدئين، وسردت في أول يوم تمهيدا حسنا تقربه عين الودود، وتكمد به نفس الحسود[1]، وقد كنت في الجامع الأعظم حزابا عام 1297 هـ، ثم نقلوني إلى الجامع الجديد عام 1301هـ، وأنا اليوم كاتب بالمكتب السابع من إدارة الوالي العام بالحاضرة، وهذا الوظيف تقلدته سنة 1304[2].

والظاهر أن شخصية ابن الخوجة الإصلاحية قد تأثرت بجملة من العوامل الداخلية، وبعض المنبهات والدعائم الخارجية الوافدة، إذ ساهمت العوامل المحلية والبيئة الداخلية للجزائر المستعمرة في تكوين مصطفى ابن الخوجة، تباينت بين العوامل السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، الثقافية والدينية[3].

أما على المستوى الثقافي والديني فابن الخوجة عاش ضمن بيئة ظهور بوادر النهضة الجزائرية وبداية نضج الحركة الفكرية، وساهمت في ظهور فئة من المثقفين سعوا إلى إخراج مجتمعهم من مستنقع البدع والخرافات والانحراف بكل مظاهره والوقوف في وجه فرنسا

[1] بختة هجوج، رزيقة محرزي، المرجع السابق، ص12.

[2] المرجع نفسه، ص13.

[3] حمدان بنو عثمان خوجة، المرأة، ت ج: محمد العربي الزبيري، د ط، 2005، ص 207.

خاصة في ظل مساعي فرنسا المتكررة لمحو الهوية الشخصية وطمس معالم العقيدة الإسلامية، وذلك عن طريق فرض اللغة الفرنسية، وتشجيع البدع والخرافات، خاصة من خلال مؤلفات لويس ماسينون الذي كرس حياته للكتابة في سبيل تشويه صورة الإسلام، ويروج لفكرة مفادها أن الإسلام دين خرافي، ولا يقبل الطائفة المثقفة بالثقافة الحديثة[1]. إذ أن الجانب الثقافي ساهم كثيرا في تكوين ابن الخوجة وصقل ملكته الفكرية، إذ كان على إطلاع واسع في ما يدور حوله من مواضيع وبحوث في العلم والسياسة والاجتماع خاصة في ما يتعلق بالعالم الإسلامي، إذ يعتبر شاهد عيان على تلك الفترة، كونه كان على اتصال بأقطاب السياسة والعلم في المشرق بطريق المكاتبة والصحافة، ويبدوا أن محمد بن مصطفى ابن الخوجة كان أحد أكثر المتأثرين بالفكر العبدوي، حيث طالب محمد عبده من أهلها أن ينافسوا الفرنسيين في العلم والعمل، وإثارة القضايا المهمة كموضوع المرأة والأطفال المشردين والفقراء والمآسي الاجتماعية بصفة عامة ودعا جلهم إلى تكوين رجال ونساء الغد .

وتشير الدراسات التاريخية إلى أنه تأثر به أيما تأثر وتبنى منهجه الإصلاحي، وسار على وقع خطاه الإصلاحية، إذ ارتبط بهذا الأخير عن طريق جريدة المنار، وكان ابن الخوجة شديد الإعجاب به ويجله إجلالا كبيرا ويتجلى ذلك في ملازمته له طيلة إقامته بالجزائر العاصمة التي دامت عشرة أيام.

[1] بختة هجوج، رزيقة محرزي، المرجع السابق، ص18.

إذن الشيخ ابن الخوجة الجزائري يعد من العلماء الذين حملوا على عاتقهم مهمة الإصلاح, حيث جمع بين العلوم الدينية والدنيوية وكان يتصدر طليعة العلماء الجزائريين المعاصرين مطلع القرن العشرين، ولذا استحق لقب الكمال[1].

ومن العوامل المساهمة في صقل موهبته وتكوين شخصيته نذكر الحرمان الذي عاشه في طفولته وشبابه كغيره من أبناء وطنه، كما استفاد من تغيير المناخ الثقافي في الجزائر المستعمرة أواخر القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين.

واستطاع أن ينهل من النهضة المشرقية، فتأثر بعدة شخصيات في المشرق كشخصية "محمد عبده" الذي يعتبر رائد الإصلاح بمصر، وقد اكتسب ابن الخوجة خبرة كبيرة جراء اتصاله بهذا الأخير، خاصة بعد زيارته للجزائر سنة 1903 فاتخذه قدوة له وسار على نهج خطواته الإصلاحية، واستمد قوته الاستمرارية من أفكار النهضة المشرقية والجامعة الإسلامية والجرائد المصرية على غرار مجلة المنار والمؤيد والعروة الوثقى وغيرهم، وعليه فإن بروز الشخصية القوية لهذا العالم لم تكن وليدة العدم أو الصدفة وإنما نتاج دعائم محلية وتأثيرات خارجية[2].

المطلب الثاني: التآليف العلمية

كان الشيخ ابن الخوجة متأثر بالفكر الإصلاحي والتجديدي، مستلهما روح الإصلاح من التآليف الإصلاحية التجديدية الحديثة، وكان يرى في ذلك من الوسائل التي يقاوم بها البدع

[1] المرجع نفسه، ص23-24

[2] المرجع نفسه، ص25-26.

والخرافات والمعتقدات الفاسدة، وقد ظهر ذلك جليا من خلال تآليفه القيمة وقد استمد أفكاره من العلماء المجددين، فاطلع على كتبهم وجرائدهم ومجلاتهم، ويبدو أن الشيخ ترك العديد من المؤلفات في المسائل الأدبية والعلمية والاجتماعية في شكل رسائل جليلة.[1]

إذ ترك ابن الخوجة عددا من التأليف العلمية وهي:

1. الاكتراث بحقوق الإناث.
2. اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب.[2]
3. شرح كتاب "جواهر الحسان لعبد الرحمان الثعالبي".
4. إقامة البراهين العظام في نفي التعصب الديني في الإسلام.
5. كتاب الرد من أخلد على الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض للشيخ سيوطي.

أما المؤلفات المخطوطة فلم يعثر إلا على عناوين فقط وهي مكتوبة بخطه عرف فيها نفسه حيث قال :... هذا ولقد لفقت كلمات من كتب الأعلام نقتصر من شبه التأليف على الاسم.

1. فتح العلام في علم الكلام.
2. الجوهر المنظوم في شرح مقدمة ابن أجروم.
3. بسط الدليل المهم في ذم الجهل ومدح العلم.
4. أداء الأمانة في مسألتي الفقه والحصانة.

[1] المرجع نفسه ، ص 28.

[2] يوسف المرعشلي ، نثر الجواهر و الدرر في علماء القرن الرابع عشر، ط 1 ، دار المعرفة ،بيروت ، 2006 ،ص 45.

5. نسمات الأسحار في بنات الأفكار يحتوي على المنظوم المنثور وعند حلول ملك المغرب عبد العزيز، اطلع على كتب الشيخ محمد بن مصطفى ابن الخوجة، أهدى له ساعة ذهبية فكتب رسالة "عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر".[1]

أولا– مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة:

وأهم ما يستدعي الانتباه أنه عمل على نشر مخطوط يدعو فيه إلى الاجتهاد وهو كتاب "الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض" للشيخ السيوطي وهذا ينم عن نزعة الاجتهاد به ومعارضته للتقليد الأعمى.

ومما يؤكد هذا الاتجاه لديه أنه كتب كتاب مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة أورده من قوله "لا ينكر تغيير الأحكام بتغيير الأيام، ويدعو في هذه المقدمة إلى الاستفادة من تجارب الآخرين، ولو لم يكونوا مسلمين ويضرب لذلك أمثلة تاريخية مستمدة من تفاعل الحضارات، فذكر الغزالي الذي أخذ المنطق اليوناني، وأدخله في تيار الفكر الإسلامي ونصح في هذه المقدمة بالرجوع إلى كتاب "أقوام المسالك" لخير الدين التونسي[2].

وهو عمل قام بإعداده تحت إشراف الحكومة العامة بالجزائر، بمناسبة زيارة الوفد المغربي، فرئيس الوفد محمد الحباص[3]، وهو الذي طلب من الحاكم العام جونار الاطلاع على القوانين

[1] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، اللباب في أحكام الزينة و اللباس و الاحتجاب، تج: محمد شايب شريف، دار ابن الحزم، بيروت،2003، ص 18.

[2] بختة هجوج، رزيقة محارزي، ص 30.

[3] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الاناث، فنتانة، الجزائر،1895، ص 18.

الجاري بها العمل في الجزائر، وكذلك التراتيب الإدارية المدنية والعسكرية فأجابه الحاكم العام وأمر له بترجمة النصوص المطلوبة.

وكان الذي أشرف على العمل هو ابن الخوجة، حيث وضع له مقدمة وخاتمة، وراجعه وجعل فيه قسمين: مدني وعسكري، وطبع الكتاب سنة 1902، بمطبعة فونتانة بالجزائر.

ذكر ابن الخوجة في كتابه مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة، نبذة عنا لمجبابي وغيرها من مداخيل الدولة في القطر الجزائري من بينها مدخول ميزانية المستعمرة الجزائرية، وغيرها وهي القرمات العربية، وتتمثل في العشر.

كما تطرق في كتابه إلى القوانين المتعلقة بالتفتيش عن المعادن، وصدور الأمر عن الدولة بإقطاعها، واستخراج مواد ومواقع الفوسفات، إذ وضع في كتابه هذا نبذة عن نظام المجالس البلدية، وجماعات الأعراش والدواوير في الجزائر، مقسما بذلك الجزائر إلى بلدان تامة، واعتبر أن البلدان التامة في الجزائر لا فرق بينه وبين نظام البلدان في فرنسا والبلدان المختلطة.

ضف إلى هذا فقد خصص في كتابه نبذة عن السجون في الجزائر فأشار إلى سجون الدولة إضافة إلى تطرقه إلى كيفية انتخاب، وتولية الموظفين المسلمين في الجزائر، وبيان تصرفاتهم ومرتباتهم الباش أغوات والقواد والمعنيون المسلمون من موظفون في المساجد الإسلامية[1].

[1] بختة هجوج، رزيقة محارزي، المرجع السابق، ص 31.

وذكر نظام البوسطة والتلغراف، كما ذكر نبذة عن نظام التجارة والصناعة بقطر الجزائري، كما وضع نبذة عن المكاتب الابتدائية والمدارس الإسلامية، فوضع توزيع المدارس على القطر الوطني، وتطرق إلى المدارس الإسلامية وعلى ما تحتويه.

ومما لا شك فيه أنه خصص فصل للغة البربرية وعوائد أهلها، أما في الباب الثاني فذكر مدرسة الجزائر، وخصص بعدها جزء للحديث عن المجالس الشرعية بالمملكة التونسية وأحوال الحكام، وأيضا تحدث عن الأوقاف.

وفي الأخير وضع خاتمة لكتابه كانت بمثابة ملخص عما ورد في الكتاب وأهمية المواضيع التي تطرق إليها، داعيا إلى الاستفادة مما قدمه في كتابه[1].

ثانيا: إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني عن الإسلام ألفه سنة 1901, وطبع بالجزائر في السنة الموالية، وقد جاء تأليف هذا الكتاب بعد أن كثر التهجم على الإسلام والمسلمين، واتهام الإسلام بأنه مسؤول عن تخلف المسلمين وتعصبهم، وأنه السبب في إعاقتهم عن التقدم الحضاري.

وغير ذلك من الاتهامات والأباطيل التي انبرى ابن الخوجة إلى الدفاع عن الإسلام بحماس وحجة وسار على منوال الشيخ محمد عبده في الدعوة إلى التسامح في ما لا يتعارض مع الدين، كما ملأ الكتاب بالشواهد على كون الإسلام ليس دين تعصب.

[1] المرجع نفسه، ص 32.

ويبدوا أن هذه الرسالة تلقاها الكتاب بالنقد، وعلى رأس الناقدين نجد محمد رشيد رضا الذي كتب في مجلته المنار، يقول بعد التعريف بمؤلفيها "وإن صاحب هذه الرسالة جاء فيها بمسائل نافعة، تثبت أن دين الإسلام بمعاملة المخالفين في الدين بالعدل.

كما رد بنبرة شديدة اللهجة، قائلا: "فينبغي لهذا الشيخ المدرس وأمثاله إذا كلفوا بالكتابة في مثل هذا المقام أن يقصدوا ويقفوا عند حد معلوم"[1]استهل كتابه بآية قرآنية "غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير"[2]. حيث ذكر سبب التأليف، الذي رآه يكمن في أن الفرنسيين لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه، ويصفون المسلمين بالوحشية والتعصب الديني في الإسلام، وأنه منافي لشريعتنا مستدلا بالنص القرآني قوله تعالى: "لا إكراه في الدين"[3].

كما بين في كتابه هذا ضرورة العدل بحجة قوله تعالى: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون"[4].

إضافة إلى أنه كان يرى أن أهل الكتاب لا يقاتلون، إلا إذا بدؤوا بالعداوة، ومع ذلك فإنهم يدعون أولا الحرب إلى أحد الأمرين الإسلام والانقياد, فإن أسلموا فلا فرق بينهم.

[1] بختة هجوج، رزيقة محارزي، المرجع نفسه، ص 33.

[2] سورة غافر، الآية 03.

[3] سورة البقرة، الآية 256.

[4] سورة النحل، الآية 90.

وكان غرضه من ذلك هو إظهار القيم الإسلامية، المتمثلة في العدل والتسامح، لكن فرنسا استغلت هذه الرسالة لخدمة أغراضها بدون عناء فقامت السلطات الفرنسية بتوزيع نسخ منها في الجنوب الجزائري[1].

ولما صدرت هذه الرسالة تلقاها الكتاب بالنقد كما أسلفنا الذكر منهم محمد رشيد رضا حيث قال: "وإن صاحب هذه الرسالة جاء بمسائل نافعة، أثبتت أن دين الإسلام يأمر بمعاملة المخالفين في الدين بالعدل، ويحرم إيذائهم والإعتداء عليهم، ثم انبرى إلى مؤلفيها بالنقد والمناقشة.

وكان يرى أنه أبيح للمسلم أن يتزوج من اليهود والنصارى، مستدلا بقوله تعالى: "المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن محصنين غير مسافحين"[2]، وإقناع الجزائريين بضرورة ترك السلاح والاندماج حسب تعاليم الإسلام[3].

ثالثا: اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب.

ألفه سنة 1907 وطبع في الجزائر في نفس السنة، عرض فيه قواعد و أصول الزينة[4] من لباس طيب وصبغ وغير ذلك، وناقش موضوع الزخرفة، وأطال في فضل الحجاب.

وأورد الآراء العديدة في ذلك وكانت الحكومة العامة هي التي سارعت في نشر الكتاب.

---

[1] على تابليث، المرجع السابق، ص 107 – 110.

[2] سورة المائدة ، الآية 5.

[3] على تابليث، المرجع نفسه، ص 116.

[4] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، اللباب في أحكام الزينة و اللباس و الاحتجاب، المصدر السابق، ص 51.

وشن هجوما عنيفا على الذين يزعمون أن اللباس الغربي يتعارض والنصوص الشرعية وأنه حرام، وقد رد عليها ابن الخوجة مستدلا في رده بأمثلة العقل والنقل وأنه لا مانع من ارتداء الملابيس الأوروبية للضرورة أو للفائدة، ولا حرج من ذلك من الناحية الشرعية إذ أن طبيعة المهن تحدد نوعية الملابيس التي ترتديها عند مباشرة هذه المهن[1] ويبدو أنه استهل كتابه بمقدمة يذكر فيها أنه قد وجه إليه سؤال وهو: ما حكم الزينة؟ وهذا ما دفعه إلى تأليف كتابه هذا وللإجابة عليه حصر كتابه في أربعة أبواب، تمثل الباب الأول في حكم الزينة مستندا في ذلك على القرآن الكريم، واعتبر أن أهمية الزينة هي التطهر ونظافة ونظرة، وأن من الزينة خضاب اللحية والرأس.

وذكر الشيخ يوسف صفي، في حاشيته على شرح العشماوية، وأن حلق اللحية حرام وكذا الشارب[2].

أما الباب الثاني فخصصه إلى حكم اللباس، فقال: "أعلم أن اللباس تعتريه الأحكام الخمسة، فيكون واجبا ومندوبا ومباحا ومكروه وحراما[3].

[1] بختة هجوج، رزيقة محارزي، المرجع السابق، ص 36.

[2] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، اللباب في احكام الزينة واللباس والاحتجاب، المصدر السابق، ص22-23.

[3] المصدر نفسه، ص 69.

أما الباب الثالث تناول فيه الاختلاف في هيئات الملابس، فذكر بعض المواقف التي حدثت مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وفصل في أنواع الملابس، وتحدث في الباب الرابع عن احتجاب النساء، فذكر الزينة وأراد بها مواضعها وشرح في هذه المسألة[1].

من خلال هذا الكتاب يمكننا القول أن الشيخ مصطفى ابن الخوجة الجزائري استطاع أن يجيب عن السؤال الذي وجه إليه، وعرج على أهم النقاط التي تخص اللباس والزينة بالحجج والبراهين المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

رابعا: عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر:

ألفه سنة 1319 هـ – 1902، وطبع في نفس السنة بالجزائر بمطبعة فونتانة، وهو عبارة عن رسالة صغيرة كتبها برئاسة محمد حباص، يصف فيها ما قوبل به الوفد المغربي من ترحيب رسمي، وعلى مستوى نخب أعيان ونزلاء الجزائر، وقد امتدت إقامة الوفد من 22 شعبان إلى 90 شوال 1312 هـ/1902[2].

فتطرق في كتابه إلى زيارة الوفد المغربي للجزائر في اليوم الأول, وأنهم نزلوا في فندق أبهج خان، كما زاروا السيد ريفوال، وفي يوم الأربعاء 7 رمضان 1319 هـ/17 ديسمبر 1901 قال بأنه استدعى إلى تناول طعام الإفطار معهم، وقال بأنه زادت بهم، وأصبحوا يستدعونه في العديد من المرات إلا أن سافروا[3].

[1] المصدر نفسه، ص 110، 139.

[2] بختة هجوج، رزيقة محارزي، المرجع السابق، ص 37.

[3] علي تابليث، المرجع السابق، ص 164.

وفي يوم 09 رمضان 1319 هـ أرسل رئيسهم هدية إلى ابن الخوجة وهي ساعة ذهبية فكتب ابن الخوجة رسالة له يشكرهم على الهدنة وفي 28 رمضان 1319 هـ، ذهبوا إلى ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، قصد حضور ختم الأستاذ العلامة الشيخ على ابن الحاج موسى، وفي اليوم الأخير من الرحلة امتطوا القطار من محطة الجزائر، وقام بتوديعهم ابن الخوجة.

وقال في كتابه هذا أنهم كانوا عنده مثالا للاستقامة والكمال، وأنهم كانوا محافظين على شعائر دياناتهم وشعار حكومتهم وملابس وطنهم وهيئاتهم، وإقامة عباداتهم، كصيامهم وصلاتهم[1].

خامسا: رسالة في علم الحديث.

ويبدوا أنه كان يرى الحديث الشريف يلي القرآن الكريم في الرتبة السامية والاحتجاج به، وذكر الأسباب التي جعلت الصحابة لا يكتبونه، وقال أن أول من دون كتبه هو ابن الشهاب في خلافة عمر بن عبد العزيز، وبعدها تطرق إلى البخاري وصحيح والحسن، وقال أن جل العلماء من المحدثين والفقهاء ينصوا على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب.

أما الأحكام كالحلال والحرام والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك فلا يعمل فيه إلا بالحديث الصحيح أو الحسن، وذكر بأن الحديث الصحيح ينقسم إلى متواتر ومشهور.

[1] المرجع نفسه، ص 173.

وذكر الغزالي في الفصل التفرقة بين الإسلام والزندقة[1].

كما ترك ابن الخزجة مرثية تدل على معرفته بمحمد عبده، وخبرته به ودرس آثاره وكتبه وتدل على أن الشاعر درس العروة الوثقى، وأنه اطلع على رسالة التوحيد وعلى كتب محمد عبده في اللغة والفقه والتفسير من خلال الأبيات التالية:

تأليفه تنسيك ما حبك قبلها وتغنيك عن جل الطروس الكبائر

فعروته الوثقى تريك بلاغة يدين لها قس وعبد القادر

وواها على التوحيد والفقه واللغى وواها عل التفسير اصل العناصر

والحقيقة أن هذه القصيدة أكبر برهان على أن محمد عبده له مدرسة بالجزائر، وعلى رأسها محمد بن مصطفى ابن الخوجة الجزائري، ويعتبر من أهم الشخصيات التي ساهمت في النهضة الإسلامية الحديثة في الجزائر.

وتتفق أغلب المصادر على أن تفسير محمد عبده "لسورة العصر" قد نشره ابن الخوجة في كتيب خاص، ووصفه عمر راسم فقال "شيخنا المبرز عالم علماء الكون واقتفى أثره في امتداح سماحة الإسلام والمساواة بين المرأة والرجل والنهي عن استعباد المرأة في منزلها.

والظاهر أن ابن الخوجة الجزائري تراث فكري غزير وفي وقت وجيز، فقد ظهر لنا من خلال مؤلفات ابن الخوجة أنه كان مهتما بالعديد من القضايا فاهتم بالمرأة, فألف كتاب الإكتراث بحقوق الإناث وأحكام الزينة واللباس والاحتجاب كما بين البدع والخرافات التي كانت سائدة في المجتمع الجزائر.

[1] بختة هجوج، رزيقة محارزي ،المرجع السابق، ص 38.

ودافع من خلال مؤلفاته عن الإسلام بالحجج والبراهين، ويبدوا أنه كان متأثرا في تآليفه العلمية بالنهضة الإسلامية في المشرق فمن خلال مؤلفاته أراد أن يوصل الأفكار التي كانت منتشرة في المشرق في أواسط الجزائر[1].

سادسا: تنوير الأذهان في الحث على التحرز وحفظ الأبدان.

ألفها خصيصا لهذا الغرض في 4 أبواب و 23 صفحة حاول من خلال رسالته هذه – التي اعتمد فيها على الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية – مطالبة الشعب الجزائري التخلي على هذه العادة التي لا تمد بصلة إلى تعاليم الإسلام داعيا إخوانه إلى الاستفادة من الأطباء غير المسلمين وحثهم على أن يستدعوا عند الحاجة الحكيم المتخرج من كليات الطب الحديثة مسلما كان أو غير مسلم، ولإقناع المترددين منهم يستعمل ابن الخوجة الحجة والبرهان من الكتاب والسنة مبينا أن الحيد والإعراض عن الحكيم العصري ضلال فاضح إذ لا أصل له فيما بلغنا من أعمال وأقوال السلف الصالح منتقدا من لا يقيمون وزنا للطب زاعمين أن ترك المعالجة والتحرز من الإيمان، ذاكر بأن الله أنزل الداء وجعل الدواء وأرشد لاستعماله[2].

من هذه الحقائق كلها يمكننا أن ندرك فضل الشيخ محمد بن مصطفى في جملة هذه التآليف العلمية كلها لما فيها من عبارات الشغف بالعلم والاعتناء بواجب العالم نحو وطنه وأمته كما تشير بعض الدراسات أنه كان يجمع بين الشعر والنثر حتى عده عمر راسم "شاعر الجزائر" كما ذكر سعد الله بأن له ديوان السنين وله دور كبير في الانبعاث الثقافي في مدينة الجزائر

[1] المرجع نفسه، ص 39.

[2] علي لونيس، متيجة في الزمن المعاصر، المرجع السابق، ص 75.

وذلك انطلاقا من الأفكار المتسامحة والواعية التي كان ينشرها حول الإسلام والمسلمين والعربية والمرأة والتي كان يبثها في المساجد وخطب الجمعة وواصل مهامه النبيلة إلى أن وافته المنية يوم 18 أوت 1915 بعد معاناته من مرض خطير عن عمر يناهز 50 سنة فقط، ودفن – رحمه الله – بمقبرة الحامة بجوار شيخ الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمان الأزهري[1].

المطلب الثالث: اهتمامات ابن الخوجة وقضاياه.

أولا: المرأة:

الظاهر أن الشيخ محمد ابن الخوجة قد اهتم بشؤون المرأة الجزائرية، وقام بنشر أعمال المفكرين المسلمين وحققها من خلال إصداره لكتاب الاكتراث بحقوق الإناث[2]، وأن ما كتبه الكمال يعكس أكثر من غير الصورة النظرية العامة لحدود قضية المرأة وإن من الصواب التقرير بأن الرجل كان رغم كل شيء حريصا على نشر العصرنة أو المدنية، فيما يميل إلى الأخذ في كتابه الاكتراث بحقوق الإناث وأيضا في كتابه اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب الذي يعكس الروح نفسها أو المنطق ذاته[3]، إذ تناول قضية المرأة بإسهاب وحرص كبيرين، فتطرق إلى حقوق المرأة ومكانتها العظيمة في الإسلام، وكذا الأسس الشرعية للمعاشرة الزوجية، كما تطرق إلى كافة المواضيع الحساسة ذات الصلة الوطيدة بالمرأة، كبيان فضائل النكاح وأحكامه وكذا موضوع تعدد الزوجات والحكمة من ذلك، وأحكام

[1] المرجع نفسه، ص 76.
[2] محمد بن مصطفى ابن خوجة، الاكتراث بحقوق الاناث، المصدر السابق، ص10.
[3] بختة هجوج، رزيقة محرزي، المرجع السابق، ص61.

الطلاق والخلع, وواجب الزوج اتجاه زوجته، وأسس المعاشرة الزوجية الحسنة، وكذا حق المرأة في التعلم وقد استشهد في كلامه بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وكذا بنصائح مفكرين وأدباء[1].

ثانيا: الدفاع عن العقيدة الإسلامية:

يبدو أن ابن الخوجة كان متعلقا جدا بمبدأ الإصلاح الديني[2]، وما يثبت ذلك معالجته لأهم القضايا الدينية كاهتمامه بتفسير القرآن الكريم، وهذا ما نستنبطه من إعجابه العميق بتفاسير المشارقة على غرار تفسير محمد عبده لسورة العصر، إذ نستنتج من خلال الرسالة التي وجهها إليه أنه كان مصلحا، مفكرا ذا رؤية ثاقبة ولا يهمل أي موضوع له صلة بالدين الإسلامي الحنيف[3].

وأهم مسألة تطرق إليها هي معالجته لأهمية الحديث الشريف، إذ وضعه في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، وعرج على موضوع عدم كتابة الحديث الشريف وأرجعه إلى أمرين: الأول أنهم كانوا في الأمر قد نهوا ذلك خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن الكريم أما الثاني فلسفة حفظهم وسيلان أذهانهم ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة[4].

ومما لا شك فيه أنه تحدث بإسهاب عن إسهامات كل من الإمام مالك والبخاري والإمام مسلم في جميع الأحاديث النبوية، كما أشاد بمجهوداتهم وبفضلهم في حفظ الحديث النبوي

[1] محمد بن مصطفى ابن خوجة، الاكتراث بحقوق الاناث، المصدر نفسه، ص11.
[2] بختة هجوج، رزيقة محارزي، المرجع السابق، ص 74.
[3] علي تابليث، المرجع السابق، ص 179.
[4] بختة هجوج، رزيقة محارزي ،المرجع نفسه ، ص75 .

من الاندثار كما عمد على تبيان مراتب الحديث من الصحيح[1] والضعيف وحسن معالجا إياها بطريقة سلسة وبسيطة يستسيغها القارئ وكأنه يضيف لمسة جديدة لكتب القدامى التي عادة ما تتميز بأسلوبها الصعب وهكذا فقد حافظ العلامة على الأصالة بوضعها في قالب عصري.

وتتضح اتجاهات ابن الخوجة الإصلاحية من خلال المقدمة التي أخص بها كتاب مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة، إذ أوضح من خلالها ملائمة الشريعة لكل زمان و مكان، ومن جملة الآراء التي يؤديها ما أورده في قوله "لا ينكر بتغير الأحكام مع الأيام". والظاهر أنه يدعو في هذه المقدمة إلى الاستفادة من تجارب الآخرين ولو لم يكونوا مسلمين ويضرب لذلك أمثلة تاريخية مستمدة من تفاعل الحضارات، فذكر الغزالي الذي أخذ المنطق اليوناني وأدخله في تيار الفكر الإسلامي ونصح في هذه المقدمة بالرجوع إلى كتاب أقوام المسالك لمؤلفه خير الدين التونسي، وكتاب علم الدين للشيخ علي باشا مبارك[2].

ويبدو أن كتابه هذا قوبل بالنقد من قبل جملة من الأساتذة على غرار محمد رشيد رضا الذي وجه له جملة من الانتقادات، وعلى رأسها أنه قد أفرط في آرائه، وكان يجب عليه عدم المبالغة هكذا[3]. حيث يقول رشيد رضا في هذا السياق بعد التعريف بمؤلفها إن صاحب هذه الرسالة جاء فيها بمسائل نافعة تثبت أن دين الإسلام يأمر بمعاملة المخالفين في الدين

[1] المرجع نفسه، ص 76.
[2] على تابليث، المرجع السابق، ص 176.
[3] المرجع نفسه، ص170.

بالعمل ويحرم إيذائهم والاعتداء عليهم وأنه شرع فيه ما يقتضى التآلف مع أهل الكتاب كحل مؤاكلتهم وتزوج المسلم منهم، ثم توجه إلى مؤلفها بالنقد والمناقشة....

وتشير الدراسات أن الكمال كان دائم الدفاع عن العقيدة الإسلامية، إذ نفى جملا وتفصيلا جميع الممارسات الخاطئة التي لا صلة لها بالدين الإسلامي، إذ تطرق في كتابه "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني عن الإسلام[1]" إلى النظرة الخاطئة التي يروج لها الغرب والذين أسماهم بالإفرنج، وإلى اتهامهم للمسلمين بالمتوحشين.

كما رد بالحجة والبرهان على أصحاب النوايا الخبيثة والنفوس المريضة، والتي ترمي إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين، إذ ذكر ابن الخوجة بأن الإسلام دين تسامح وتعايش، وبأنه دين يسر لا دين عسر ويحترم جميع الأديان، ولا يرغم أحدا على أي شيء بل يترك الخيار له. وفي هذا السياق دعا ابن الخوجة إلى تعايش الجزائريين مع الفرنسيين في ظل بيئة يسودها التفاهم والتوافق بعيدة كل البعد عن الشقاق، والجمع بين المصالح الوطنية والاستيطانية، حتى يلتئم الشمل ويسود التطور والتمدن.

والأكيد أن غرضه من هذه الرسالة لم يكن مخالفا للمبادئ التي اعتنقها بل هدفه منها أن يبين بأن التعصب الزائد غير موافق للأوامر الدينية، فهو مانع من موانع التقدم الفكري والارتقاء الحضاري[2].

[1] بختة هجوج، رزيقة محارزي، المرجع السابق، ص77.

[2] علي تابليث، المرجع السابق، ص180.

والظاهر أنه رغم أن هذه الأفكار التي دعا إليها قد وضعته محل جدل واسع، إلا أن هذا لا يعني التشكيك بوطنيته، وهو الذي دعا إلى الإصلاح وحارب البدع والإلحاد، وقاوم المبشرين والمستشرقين ودافع عن اللغة العربية والدين الإسلامي، ونحن لسنا من يحكم عليه أو ينتقد أفكاره، لأن محكمة التاريخ كفيلة بذلك.

ورغم ما أعيب على كتابه هذا إلا أننا لا يمكننا إنكار المسائل النافعة التي أثارها، وقد استدل ابن الخوجة بالعديد من الشواهد على سماحة الدين الإسلامي، وبعده عن التعصب فعرض موقف للرسول صلى الله عليه وسلم يدل على التسامح الديني فقال أخرج بن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا من الأنصار كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلا مسلما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ألا أستكرهما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله تعالى قوله الحق "لا إكراه في الدين"[1].

ومما لا ريب فيه أنه استدل على سماحة الشريعة بجملة من الآيات والأحاديث النبوية[2] فاستدل بقوله تعالى "ولو شاء ربك من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"[3]. كما استدل بآيات أخرى "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم"[4].

---

[1] سورة البقرة،، الآية 256.

[2] علي تابليث، المرجع نفسه، ص108.

[3] سورة يونس، الآية 99.

[4] سورة هود، الآية 118-119.

وقد اجتهد ابن الخوجة في تفسير بعض الآيات كتفسيره للآية 108 من سورة الأنعام، والتي مفادها أن على المسلمين احترام جميع الديانات، وأنه لا يجب عليهم شتم من يعبد الأصنام أو لعنه، لأن لعن المسلم لعابد الصنم يؤدي إلى سب هذا الأخير لرب العالمين ولذا يجب على المسلم احترام ديانة الكافر أو المشرك بالله، فالله هو الوحيد الذي بيده أمره هو الكفيل بعقابه[1].

وتتفق أغلب المصادر أن ابن الخوجة دعا إلى معاملة غير المسلمين بالحسنى، وقال بأنه لا ضرر في معاشرتهم والاختلاط معهم والإحسان إليهم، وتبادل الخبرات معهم، مستدلا بقوله تعالى "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين"[2]، كما دعا إلى بر الوالدين ولو كان غير مسلمين. وهنا استدل شيخنا بقوله تعالى "وصاحبهما في الدنيا معروفا"[3]. وعلق ابن الخوجة على هذا الموضوع بقوله يجب على المسلم طاعة والديه خدمتهما واحترامهما حتى ولو كان على غير دينه.

ومن خلال تناول الكاتب لجملة من المواضيع الهامة، قدم خدمات جليلة إلى الشعب الجزائري، الذي كان يعيش واقعا حرجا كان المستعمر خلاله يسعى إلى قتل كل ما له علاقة بالدين الإسلامي، و كل ما بشأنه أن ينهض بمستوى الفرد الجزائري.

---

[1] علي تابليث، المرجع نفسه، ص109.

[2] سورة الممتحنة، الآية 08.

[3] سورة لقمان، الآية 15.

والأكيد أن تطبيق نصوص الشريعة الصحيحة، ستؤدي به إلى الخروج إلى الجهل والضعف إلى مرحلة من القوة، يمكنه خلالها تغيير واقعه المتدهور، وقد كانت هذه النصائح والمواضيع التي تناولها ابن الخوجة بمثابة الشريان الذي يربط الجزائريين بعقيدتهم، ويحفظ ذاكرتهم من النسيان.

كما تطرق ابن الخوجة إلى موضوع المعاملات مع غير المسلمين، وقال بأن التداوي لا يشترط فيه بأن يكون الطبيب مسلما، واستدل بقبول النبي صلى الله عليه وسلم عند طبيب العرب "الحارث بن كلدة" رغم أنه عاش كافر ومات على كفره، ولم يهمل المؤلف أي شريحة حتى أنه أثار قضية الرأفة بالحيوانات، فذكر قصة الرجل الذي دخل الجنة في رأفته بكلب لما رواه من عطشه وبالمقابل ذكر قصة المرأة التي دخلت النار في قطة حبستها[1].

ومن خلال هذين الموقفين عرج إلى موضوع الرأفة بالإنسان، وإكرامه وتجنب إلحاق الضرر به، و قال إذا كان هذا هو حال من يحصل منه الأذى للحيوانات، فكيف يكون حال من يفعل الظلم بالآدمي الذي أكرمه الله تعالى في أكثر من مناسبة، كما نبه الكمال إلى ضرورة تحقيق المساواة بين المسلم وغيره خاصة فيما يتعلق بالقضاء، وكذا تطبيق القانون، وقد حاول الشيخ من خلال عرضه لهذه الأمثلة تسليط الضوء على الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين، وإسكات كل متهكم على الدين الإسلامي، وإفشال محاولاته الرامية إلى تشويه هذا

[1] بختة هجوج، رزيقة محارزي، المرجع السابق، ص 79-80.

الدين، ولذلك كان يدعم آراءه بأمثلة حية من السيرة النبوية، فكان كتابه زاخرا بالأمثلة وكان لا يتحدث عن موضوع إلا و دعمه بشواهد وأدلة.

ولا ريب فيه أن السيرة النبوية زاخرة بالعديد من الأمثلة المشرفة، وقد ذكرنا بعضها على سبيل المثال لا حصر، كما تطرق إلى مسألة زواج المسلم وأباح له زواجه من يهودية أو نصرانية، أو كما أطلق عليهم ابن الخوجة اسم الحربيات[1].

ضف إلى هذا فهو دعا إلى معاملة أهل الكتاب وفقا لما نصت عليه الشريعة الإسلامية ومجادلتهم بالحسنى "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن"[2].

ثالثا: الصحـة

أما عن موضوع الصحة فقد عالجه ابن الخوجة، وأولى له عناية بالغة، فألف عدة كتب في هذا المجال، فمنها ما جمع وطبع، ومنها ما يزال قيد النسيان ككتاب تنوير الأذهان في الحث على التحرز وحفظ الأبدان[3]، والذي كان عبارة عن رسالة وجيزة ضمت مجموعة قواعد صحية، تدعوا جلها إلى المحافظة على الصحة البدنية والجسمية، وكيفية الوقاية من الأمراض والأساليب الناجعة للتداوي، وكان غرضه من إنشاء هذه الرسالة تقوية الشعور القومي حتى يكون الجزائري منافسا لغيره ويكون ذا جسد سليم وعقل سديد كما انتقد العلامة نفور العامة من الأطباء، وحثهم على التوجه إلى الطبيب بغض النظر إن كان مسلما أولا،

[1] المرجع نفسه، ص81.

[2] سورة العنكبوت، الآية 46.

[3] المرجع نفسه، ص 71.

ولإقناع المترددين، كان كعادته دائم الاستدلال بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، مبينا أن الإعراض عن الحكيم العصري ظلال كبير.

وخاصة في ظل تفشي الأمراض والأوبئة بين سكان الجزائر، بسبب انتقال العدوى عن طريق الأقطار المجاورة وذلك لصلة الجزائر بعالم البحر الأبيض المتوسط، إذ انتقلت الأوبئة الفتاكة من مواطنها الأصلية إلى الجزائر،عن طريق توافد البحارة والحجاج والطلبة من أقطار الشرق الأوسط حتى أن السكان كانوا يطلقون على جميع الأمراض التي كانت تتفشى بسرعة بين السكان وتفتك السكان وتفتك بهم اسم الطاعون[1].

وقد أخذ العلماء والمصلحون على عاتقهم مهمة توعية الناس إلى خطورة هذه الأمراض وكذا سبل الوقاية منها، خاصة في ظل عجز الدولة الاستعمارية في الجزائر والتي كانت عاجزة عن معالجة المأساة الصحية، والتي كانت ناتجة عن جور النظام الاستعماري.

ورغم جهودها الضئيلة التي بذلتها لمعالجة الأوبئة التقليدية، كالجذري وحمى المستنقعات والتفويس والتي كانت تصيب المسلمين والأوروبيين على حد سواء، وكذا الأمراض المعدية كالتهاب الأمعاء والسل الذي يصاب به جزائري واحد من كل عشرين، وبالمقابل يصيب فرنسي واحد من كل مئة، إضافة إلى مرض الطاعون والذي كان يتخذ ثلاثة أنواع، و وباء الكوليرا.

[1] المرجع نفسه، ص72.

كما أدت المجاعة وسوء التغذية إلى العديد من الأمراض، كالتهاب أنسجة الخلايا من الجوع ما أدى إلى كثرة الوفيات، هذا إضافة إلى النقص الكبير الذي كان يشهده القطاع الصحي في عدد الأطباء، هذا ما جعل الجزائريين يلجؤون إلى تجارب الحجامة، والتداوي بالطرق التقليدية، والتي كانت تمثل شكلا من أشكال الثقافة التقليدية، التي كانت تسمح بها الإدارة الفرنسية، وهذا ما نتج عنه حالة جهل كبير لدى السكان[1].

ونظرا لهذه الوضعية الصحية المتدهورة التي توصل إليها الجزائريين، رأى العلامة ابن الخوجة أنه من واجبه تقديم نصائح وقائية بإمكانها أن تخفف من وطأة الوضع، فأكد على أهمية النظافة ودعا الجزائريين إلى الاعتناء بنظافة أجسادهم، كون الطهارة من أعظم وسائل حفظ الصحة ولها تأثير على طهارة الروح، وينشأ عنها خفة البدن وسرعة الفهم[2]، كما تناول مسألة مرض الجدري، والذي كان مسألة تؤرق أذهان الناس في ذلك الوقت، وقام بذكر الأساليب الوقائية من هذا المرض، وأولى لهذا الموضوع عناية بالغة فألف كتابا كاملا يتكلم عن هذا المرض وهو كتاب "السمط الدري في مسائل تتعلق بالجدري"[3].

وما يمكننا قوله إجمالا عن موضوع الصحة أن العلامة ابن الخوجة قد أولى عناية كبيرة, كونه كان على يقين أن صحة الأبدان مهمة جدا للفرد الجزائري فلا يمكنه التمرد على واقعه إن لم يكن سليم البدن والجسد فالعقل السليم في الجسم السليم، وقد عمد الكاتب إلى تقديم عدة توصيات تهم موضوع الصحة الجسمية.

---

[1] المرجع نفسه، ص73.

[2] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، اللباب في احكام الزينة واللباس والاحتجاب، المصدر السا بق ، ص23-35 .

[3] على تابليث، المرجع السابق، ص110.

رابعا: محاربة البدع والخرافات:

تشير الدراسات التاريخية إلى أن ابن الخوجة كانت دروسه نارا على البدع والجمود والإلحاد ،وهو أول من خطب في المنابر ضد البدع والخرافات والمرابطية والطرقية الضالة، إذ تطرق إلى المعتقدات البالية التي كانت منتشرة في أواسط شرائح المجتمع الجزائري ونفاها جملا وتفصيلا, قائلا بأن الزهد لا يعني بأن لا يتزين الإنسان، و يرتدي ثيابا رثة.

وقد دعم آراءه هذه بالعديد من الآيات والأحاديث النبوية لقوله تعالى: "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد"[1]. وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا أنعم على عبد أحب أن يرى أثر نعمته عليه ويكره البؤس والتباؤس"[2].

ويبدوا أنه من أجل أن يقي المجتمع الجزائري من المغالطات والوقوع في الشبهات، عمد إلى ذكر الأحكام العامة لما يأكله الإنسان من طيبات وأطعمة مختلفة، وبين النافع منها والضار مستنبطا أحكامه هذه من القرآن الكريم، كما ركز على الجانب الروحي للإنسان وأن أهم زينة هي زينة الجسد والفؤاد[3]. ومما لا شك فيه أنه ركز على الطهارة نظرا لعدة اعتبارات أهمها إهمال الجزائريين لجانب النظافة، إذ كانت المرأة تبقى سنة كاملة دون استحمام حزنا على زوجها أو ابنها المتوفى، ولذلك قاوم في كتاب اللباب في أحكام الزينة والاحتجاب، البدع والخرافات والمعتقدات السائدة في أواسط الشعب الجزائري، وهي كثيرة جدا لا يمكن حصرها،

[1] سورة الأعراف، الآية 31.

[2] حديث صحيح اخرجه البيهقي.

[3] محمد بن مصطفى ابن خوجة، اللباس في احكام الزينة واللباس والاحتجاب، المصدر السابق، ص53.

ولعل أبرزها العادات الرمضانية التي عكف الجزائريون على إحيائها، ليلة السابع والعشرين من رمضان كمسألة التسبيح، أو ما يحصل على موائد رمضان من إسراف وتبذير، أو حتى الاحتفال في الليلة نفسها بتصفيد والشياطين. حيث يقومون بحبس ديك وتصفيده في إحدى القنوات الفارغة، وفي ليلة السابع والعشرين يقومون بإطلاق سراحه، معتقدين أنهم قاموا بإطلاق سراح الشياطين والجن[1].

حيث بلغت هذه البدع مبلغا كبيرا وأصبحت عبادة مقدسة لا يجوز الخروج عنها، خاصة في ظل سكوت العلماء ورجال الدين، كما كانت النساء بمدينة قسنطينة تقمن برمي الخبز في حوض ماء للسلاحف معتقدين أن به جنا ويطلبون من ذلك الجن أن يحقق لهم رغباتهم كما لا ننسى احتفالات البرمة والمسيد.

وكل هذه المعتقدات جعلت الجزائريين أفراد مشلولي الحركة، مقعدين بين أعتاب الأولياء وأضرحة المقابر أو غائبين عن الوعي في دوامة الشطحات الصوفية، لذا كان الإصلاح واجبا كون المجتمع الجزائري أصبح مليء باللصوص والفجار والسكرين، والمجرمين وانتشرت فيه عادات سيئة كحب النفس وعبادة المال والانسلاخ عن الدين والتظاهر بالفحشاء و تقليد الكافرين.

[1] بختة هجوج، رزيقة محارزي، المرجع السابق، ص82.

ولأجل كل هذا دعا ابن الخوجة إلى تنقية الدين من الشوائب والخرافة، وإعلاء كلمة الدين الإسلامي، ورأى بأن المسلمين لن يعيدوا سالف مجدهم إلا إذا حكموا القرآن الكريم في كل أمورهم، ومحاربة كل أنواع الجهل، الذي كانت المرأة الجزائرية أول ضحاياه[1].

خامسا: الاهتمام بالعلم:

لقد كان ابن الخوجة من بين العلماء والمفكرين المهتمين بقضية العلم، حيث دعا إلى إحداث نهضة علمية تشمل كافة المجالات، ولعل من أسباب هذه النهضة التصدي للعدوان الفرنسي الذي أتى على كل ما هو عربي، ولم يستثنى دينا أو لغة وأغلق المعاهد واستولى على المساجد، وعمل كل ما بوسعه حتى ينزع رداء الدين الإسلامي، ويضيق على اللغة العربية[2]. فأوقف سير ونمو اللغة العربية بالجزائر، وكان في أذهان الناس أن اللغة العربية قد أوشكت على الاندثار، وأن أهالي الجزائر كانوا منغمسين في ظلمات الغباوة، والأمة الجزائرية تتألف من جماعة من الأميين الذين يجهلون القراءة والكتابة، وأن اللغة العربية قد ماتت ومنذ زمن بعيد، وهذا كله كان خدمة لمطالعة الاستبدادية، وحتى يعطي الشرعية لنفسه، وأنه قد جاء لينقذ سكان الجزائر المساكين من كافة الجهل وحتى يلحقهم بركب الأمم المتمدنة.

لكن الوثائق التاريخية تثبت عكس هذه المزاعم الاستعمارية، فقد كانت حالة التعليم بالجزائر جد مزدهرة خلال القرن التاسع عشر ميلادي، فكانت المدن حافلة بالأساتذة والتلاميذ، كما كانت الزوايا بالقرى حافلة بالمساجد والطلبة، لكن هذا الوضع لم يدم طويلا، خاصة في ظل

[1] المرجع نفسه، ص83.

[2] المرجع نفسه، ص51.

مساعي فرنسا المتكررة لمحو الهوية والشخصية الوطنية، فعمدت على غلاف المدارس العلمية[1]، لكن الجزائريين لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا الوضع بل قاوموه بكل ما أوتوا من قوة، وركزوا على نشأة الشاب الجزائري نشأة دينية، وهرعوا إلى حماية الدين وإحياه بالوعظ والإرشاد، ومن جملة العلماء الذين دعوا عنه، الشيخ حميدة لعمالي، والشيخ مصطفى بن الكبابطي، وعلي بن محمد المنجلاني، وغيرهم من العلماء الأجلاء الذين قدموا دروسا مختلفة في العلوم العربية بالعاصمة وقسنطينة وتلمسان، وقاموا بواجباتهم اتجاه اللغة العربية والأمة الجزائرية.

وقد كانت المساجد والزوايا أهم المؤسسات الدينية التي عملت على تربية النشأ وتلقينهم أصول دينهم، فكانت الزوايا بالريف تشارك في الحياة الثقافية بتنظيمها للدروس في جميع نواحي الجزائر.

حتى أنها كانت تنافس الجامع الزيتوني بتونس، وجامع القروين بفاس، وكان العلماء بالمغرب الأقصى و تونس يقدرون شهادات الطالب الجزائري حق قدرها[2].

فإذ اعلم أن الطالب الجزائري قد زاول دراسته في زاوية شلاطة, أوزاوية الهامل, إعترف به وبشهاداته ونقل ليدرس بالأقسام العليا.

ونتيجة جهود أولئك العلماء الأبرار في سبيل بث العلم أنهم كادوا أن يقضوا على الأمية في كامل التراب الجزائري خلال القرن التاسع عشر، فحسب شهادة رجلين فرنسيين، فإن عدد

[1] المرجع نفسه، ص51.

[2] المرجع نفسه، ص53.

الجزائريين الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة كان يفوق ما يوجد في الجيش الفرنسي المحتل، والذي كانت نسبة الأمية فيه تبلغ 45 بالمئة، في حين كان عدد الجزائريين المتعلمين يفوق 55 % في الفترة ما بين (1836 – 1837).

ومرت السنوات وأنصار اللغة العربية يدافعون عنها بكل قواهم، حتى لا يتغلب عليها الاضمحلال والشحوب، إذ كانت لها السلطات الفرنسية دائما بالمرصاد، وكانت تستغل أي فرصة للقضاء على لغة الضاد، إذ حملت فرنسا على عاتقها مهمة تنظيم التعليم، حتى تربي تكون نشأ مغلوب على أمره يحب فرنسا ويدافع عن مصالحها.

ويقول أحد الأعالي: لقد بلغ شعبنا أقصى درجات التقصير وأدنى مواقع التخلف، كما أن أغلبية الأهالي كانوا رافضين لفكرة التعليم بالمدارس الفرنسية، ولذلك لجأت الإدارة الفرنسية إلى استعمال الوسائل الإغرائية لفتح مناصب شغل محترمة للمتعلمين على غرار منصب القايد أو المحامي أو نائب القاضي أو غيره.

وتم غزو الأهالي حتى في عقولهم وبيوتهم، لذا كان واجبا على رجال الإصلاح الدفاع عن الدين والدعوة إلى التمسك باللغة العربية وتعلم أصولها[1].

وهذا ما دعا إليه محمد بن مصطفى ابن الخوجة إذ يقول: العلم من أجل نعم الله على الإنسان، فكيف لا و به تعرف الحقائق وتدرك الدقائق ويخلد الذكر الجميل، كما نوه بمكانة العلماء وقال بأنهم أرفع الناس مكانة، وقارن بينهم وبين أصحاب الأموال وقال: بأن بإمكان

[1] المرجع نفسه، ص54–55.

أي شخص أن يحصل المال ولو كان من أسافل القوم وأرذلهم، في حين أن العلم لا يحصله إلا أشرف الناس.

كما نجد العلامة ابن الخوجة يقول: أن العلم فضيلة الإنسان وغذاء روحه، وشرف وكمال لصاحبه، ومن ناحية الشرع ينقسم إلى العين والكفاية، فأما الأول فيوجب على صاحبه طلبه ويكلفه بذلك وأما الثاني فهو المحتم المقصود حصوله من غير نظر بالذات إلى فاعله ويتناول ما هو ديني كصلاة الجنازة وما هو دنيوي، كالضائع المحتاج إليها وإذا قام به البعض سقط عن الباقين[1].

وقد ورد على لسانه أنا لإحاطة بجميع العلوم أمر مستحيل، فإفناء العمر كله لا يكفي في سبيل ذلك {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا [2]}.

ومن خلال ما تطرقنا إليه اتضح لنا أن ابن الخوجة جعل قضية العلم من أولويات اهتماماته, إذ كان دائم الدعوة إلى ضرورة النهوض بواقع العلم في الجزائر، وحفز الجزائريين على تحصيله والاهتمام به متحدين في ذلك الممارسات الاستعمارية الجائرة والتي كانت جميع مساعيها تصب في هدف واحد ألا وهو القضاء على كل ما هو عربي إسلامي.

المبحث الثاني: التحليل الاستقرائي لكتاب الاكتراث بحقوق الإناث:

لقد كان في الخوجة من الأوائل الذين نادوا بإصلاح شؤون المرأة الجزائرية وتحريرها من الجهل في الحدود التي وضعها الدين الإسلامي، وقد ألف كتاب بعنوان " الاكتراث في

[1] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص108-109.

[2] سورة الإسراء، الآية 85.

حقوق الإناث"، يهدف من ورائه إلى إبراز مكانة المرأة المسلمة وتحريرها من الجهل، كانت معالجته لموضوع المرأة في كتابه هذا معتمدا على آيات قرآنية وأحاديث نبوية تبين مكانتها في الإسلام هذا هو الشيخ محمد بن مصطفى المضربة أو الخوجة احد زعماء النهضة الحديثة الجزائرية.

حيث نجده ألف كتابه هذا سنة 1895، وطبع في نفس السنة بالجزائر، تحدث فيه عن حالة المرأة المسلمة، وعن حقوقها وواجباتها والآداب التي يجب مراعاتها على المسلمين، وعلى من يرغب في معرفة ما عليه الأمة العربية.

والظاهر أن الفرنسيون بادروا إلى ترجمة الكتاب إلى الفرنسية، والتنويه به، وإرساله إلى القنصليات لترويجه، علقت الصحف عليه وعلى مؤلفه، وكان الذي تولى ترجمته هو السيد أرنو، وقد اعتبرت الجرائد لفرنسية لمؤلف غير متعصب دينيا[1].

ولقد كانت دراسته لقضايا المرأة شبيهة لنظرة محمد عبده، والتي أخذت حيزا كبيرا من اهتماماته، باعتبارها ركيزة المجتمع، فقد أكد على المكانة الرفيعة للمرأة والتي كفلها واقر بها الإسلام، ومن هنا كان منطلق دعوته.

فمن خلال هذا الكتاب استطاع ابن الخوجة أن يوضح العديد من القضايا المتعلقة بالمرأة، التي كان العديد من الناس ليسوا على دراية لها، فكان هذا الكتاب بمثابة رسالة تدعو إلى إعطاء المرأة حقوقها وواجباتها[1].

[1] بختة هجوج، رزيقة محارزي، المرجع السابق، ص 34.

إنّ أول ما ابتدأ به الكاتب رسالته الاكتراث بحقوق الإناث، هو موضوع النكاح وذلك مصداقا لقوله تعالى: ((وإن خفتم ألا تسقطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع))[2] فلقد بين لنا أن من شروط النكاح الرغبة، فلا يجب على الرجل أن ينكح امرأة لم تهواها نفسه، فان فعل ذلك فسوف يظلمها ويسيء إليها، وهذا ما حرمه الإسلام، وللأسف هذا كثير الحدوث قديما وحديثا، فقديما كانت النساء اليتيمات تنكحن لا رغبة فيهن وإنما طمعا في مالهن، ثم نجد ابن الخوجة ذكر أن تعدد الزوجات يتم وفقا لعدة شروط ومن أهمها، العدل فإذا لم يستطع الرجل العدل بين زوجاته فليأت بواحدة[3] و ذلك مصداقا لقوله تعالى: ((فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة))[4]، وقد ذكر بأن مذهب الأئمة الأربعة[5]، قد حرم للرجل الزواج بأكثر من أربعة نساء، مستدلا بشواهد وأحاديث من السيرة النبوية، وإذا روي عن قيس ابن الحارث انه قال: أسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: " اختر منهن أربعة"[6].

---

[1] رزيقة حاج فطيمة، " المرأة العربية في اتهامات المفكرين المصريين والتونسيين خلال القرن التاسع عشر والعشرين، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص حديث ومعاصر، إشراف: محمد طيبي،جامعة يحي فارس المدية، 2015- 2016، ص25.

[2] سورة النساء، الآية 3

[3] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص4.

[4] سورة النساء، الآية 3

[5] نقصد بهم البخاري ومسلم والترميذي والنسائي.

[6] المصدر نفسه، ص 5.

ورأى الكمال أن الحكمة من جواز تعدد الزوجات تحصين من لم يكفه امرأة واحدة لغلبة الشهوة عليه وتكثير النسل، وغلق باب الفساد في وجه النساء وكذا محاربة ظاهرة العنوسة، وقد شدد على ضرورة تزويج الايامي حتى يحدث التكاثر.

ونفضي على الرذيلة[1]، مصداقا لقوله تعالى: ((وانكحوا الايامى منكم))[2]، وقد كان يركز على الأهمية الكبيرة للنكاح لصحة البدن وكذلك لنمو المجتمع وازدهاره وذلك مستشهدا بقوله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضى للبصر وأحصن للفرج"[3].

والنكاح سنة مؤكدة لتحصين النفس وتحصيل الثوب، والابتعاد عن الفاحشة، قال تعالى: ((ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا))[4].

وقد أتى ابن الخوجة بالعديد من الأدلة على تحريم الزنا، وقام بتفسير الآيات القرآنية التي تحرم هذا الفعل حرفا بحرف، ورد الحكمة من تحريمه إلى اختلاط الأنساب، والأضرار

[1] المصدر نفسه، 6-7.

[2] سورة النور، الآية 32

[3] حديث صحيح رواه البخاري ومسلم.

[4] سورة الإسراء، الآية 32.

بالهيأة الاجتماعية والصحة العمومية، إضافة إلى ضياع الأموال، كما تطرق إلى موضوع التبتل، وحرمه[1]، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا رهبانية في الإسلام".

وقد أكد على ضرورة النكاح عملا بنصوص كبار العلماء وجعل النكاح أفضل من أداء النوافل، وأفضل من العلم والتعلم لها ليترتب عليه من مصالح دينية وأخرى دنيوية، وقد نبه إلى أنه من المغالطات التي يقع فيها الكثير من الرجال، أنهم يمتنعون عن الزواج باسم التفرغ إلى الدين، وهذا ما نافاه جملة وتفصيلا، مستدلا[2]" بقوله صلى الله عليه وسلم: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصوم وأفطر وأصلي وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"[3].

ثم نجده مرة أخرى يعود ويتكلم عن موضوع التعدد فيقول بأن الحكمة من تشريع التعدد منفعة الزوج، الذي ربما لا تكفيه امرأة واحدة، خاصة إذا كانت مريضة أو عاقرا، وكان هو يرغب في البنين، فزواجه من امرأة ثانية أفضل وأحسن له من الوقوع في الحرام، ولكن ذلك يكون بتطبيق شرط العدل، فإذا لم يكن عادلا كان حكم التعدد هنا حرام لما فيه من ظلم.

*والظلم من شيم النفوس فان تجد *** ذا عفة فلعله لا يظلم.*

وقد نفى بأن التعدد ظلم في حق المرأة لأنه لو كان ظلما لما شرعه الإسلام، بل إن التعدد حياة أخرى لنساء أخريات فهو يقيهن من الوقوع في الفاحشة ويمنع عنهن العنوسة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 10.

[2] المصدر نفسه، ص 11-12.

[3] حديث صحيح اخرجه البخاري ومسلم والنسائي.

كما نجد محمد الخوجة انتقد ما جاء به محمد عبده من الأفكار التي تمنع التعدد، والتي أصبحت فيما بعد دستورا يطبق في العديد من الدول العربية، وبموجبه منع التعدد نهائيا كما هو الحال في تونس، كما قيد التعدد في سوريا، لكن هذا القانون لم يطبق بمصر لأنه لاقى معارضة شديدة هناك[1].

كما انه قد تطرق إلى شروط تطبيب العشرة بين الزوجين وقال بأنها سائدة بالمرأة ويجب أن تتوفر بها ثمانية مقاصد[2]، وقد استدل ذلك بقوله (ص): "تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها ودينها".

أما خفة المهر فهي مطلوبة أيضا لقوله (ص): "أعظم النساء بركة أيسرهن صدقا"، أما كونها ولودا فلقوله (ص): " تزوجوا الولود الودود"[3]، أما شرط البكارة فمصداقا لقوله (ص): " تزوجوا الأبكار فإنهن أعذب أفواها، وانتف أرحاما".

وللمرأة البكر ثلاث مزايا: الأولى أنها تحب وتألف أول رجل في حياتها، والثانية أنها تحصل على مودة زوجها، فالرجل لا يحب امرأة لمسها احد قبله، أما الثالثة تخلص الحب إلى زوجها على عكس الثيب التي تحن إلى زوجها الأول[4].

حيث نجد الأديب الحريري البصري يقول: البكر هي الذرة المخزونة والبيضة المكنونة"[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص 15.

[2] المصدر نفسه، ص17-18.

[3] حديث صحيح أخرجه أبو داود وترتيبه 2050، والنسائي 65.

[4] المصدر نفسه، ص 19.

[5] المصدر نفسه، ص 19.

فلقد احتلت المرأة مكانة مرموقة في الإسلام، فمنحت عدة حقوق دون الرجال كالحق في الحضانة والنفقة، والمهر والكسوة والمسكن، كما نهى الإسلام عن سلب حقوقهن في قوله تعالى: ((ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن إلا أن يأتين لفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا))[1].

وقد جاء ابن الخوجة بمسائل جد هامة تتعلق بالمرأة، وتجعلها تتفقه في أمور دينها، فأجمل مقاصد الحياة الزوجية في جملة من النقاط، وقال بأنها لا تتحقق إلا إذا راعت عدة شروط أهمها احترام كل من الزوجين لحقوق بعضهما، والتعاون على تربية الأولاد وحسن المعاملة وكذا القيام بالواجبات المادية والمعنوية[2]، وفي نظره أن تدهور العلاقات الزوجية، والتي وصلت إلى درجات من الانحطاط، يعود إلى غياب الاحترام المتبادل بين الطرفين.

وقال بأنه الكثير من النساء تتطاولن على أزواجهن ويكلفوهن ما لا يطاق من الإنفاق والتبذير ومنهن من لا ترحب بزوجها ولا تتبسم في وجهه، بل تعرض عنه ولا تجيب نداءه، ولا تطع أوامره، وفيهن من تشتمه وتدعو عليه مشافهة حتى اضطر بعضهم إلى تأديبهن بالضرب زيادة على بذل جهد اللعن والسب، وهكذا لخص لنا ابن الخوجة تقصير الزوجات في حق أزواجهن.

[1] المصدر نفسه، ص 23.

[2] المصدر نفسه، ص 25-26.

كما نجد المؤلفي المقابل حذر الأزواج من ظلم زوجاتهن، كمنعهن من الخروج عند الحاجة كزيارة أهلها أو خدمة أبوها، أو حج الفرض بمحرم، كما نجده شجع الزوجات على البقاء في بيوتهن وعدم الخروج إلا للضرورة لقوله تعالى: ((وقرن في بيوتكن))[1].

ولقد انتقد ابن الخوجة بعض الممارسات الخاطئة المرتكبة في حق النساء، إذ كانت تفرض عليهن حياة خانقة، وكنا مضطرات إلى لبس النقاب والحجاب، ويمنع عليهن الخروج في المدن إلا إلى الحمام أو الأعراس، باستثناء نساء الأرياف اللاتي يشاركن في الحياة اليومية لاسيما في موسم الحصاد أو جني الثمار.

-كما عالج الكمال قضية خروج المرأة للعمل، فهو يرى بأنه إذا كانت حجة الرجل في منع زوجته من العمل، أن هذا يتعبها وينقص من جمالها فله الحق في منعها، أما العمل الذي لا ضرر فيه فلا يحق له منعها، ولعل أهم هذه الرسالة التي وجهها المؤلف إلى المرأة هي النصائح الفريدة والمميزة من نوعها التي يقدمها إليها وكذا استدلاله بالآيات والأحاديث النبوية الشريفة[2].

ثم لجوؤه إلى الشرح المفصل لكل آية يستدل بها، ثم ذكر مجموعة من الخروفات التي تنتهك في حق النساء على أيدي أناس من وصفهم بالبربر، ومن ضمنها ذكر:

-عدم توريث النساء رغم أن الشرع صريح جدا في هذا الموضوع، وأيضا الخلع، عندهم جائز مطلقا سواء كان النفور من قبل المرأة أو من قبل الرجل، كما كانت المرأة تحرم من

[1] الآية 33، سورة الأحزاب.

[2] المصدر نفسه، ص 28.

المهر ويقدم لوليها، وهذا منافي لما جاءت به الشريعة الإسلامية[1]، قال تعالى: ((وآتو النساء صدقتهن نحلة))[2]، هذا إضافة إلى تطبيق عرف تعلقيت.

كما كان المؤلف في كل مرة يدافع عن المرأة ويبدي تعاطفه معها كما فسر لنا ظاهرة قوامة الرجال عن النساء[3]، فقال لنا بأنها لا تعني تجبر الرجل وظلمه للمرأة، كما ذكر حكم الرضاعة و نكاح المرأة البالغة، كما شرع للمرأة مفارقة زوجها إذا لم ينفق عليها، كما ذكر شروط العدة ومدتها وفسر تقديرها بأربعة أشهر، وقال بأن الحكمة من ذلك لفراغ الرحم فلا يجب أو لا يجوز للمرأة أن تتزوج مرة أخرى وهي تشك بأنها حاملا من زوجه الأول.

وعن مسألة الاحتجاب عند المرأة، قال ابن الخوجة بأنه يحرم على المرأة إبداء عورتها للأجنبي، كما ذكر الأشخاص الذين يجب للمرأة أن تكشف عليهم وهم المحارم وآباء الأزواج وأبنائهم.

كما ذكر المواقع التي يجب على المرأة فيها مخالطة الرجال، وذكر على سبيل المثال: اضطرارها للعمل أو غيرها من الأمور الضرورية، وقال بأن خروجها مشروط وذلك بعدم إخلالها بشرط الحياء والأدب، كما انه قارن بين المرأة الجزائرية المسلمة والمحافظة وبين النساء الشرقيات المتفتحات في كل من مصر والشام، وتطرق إلى أحكام الخطوبة وأحل للخاطب النظر إلى وجه المرأة التي يريد خطبتها.[4]

---

[1] المصدر نفسه، ص 33.

[2] سورة النساء، الآية 4 .

[3] المصدر نفسه، ص36.

[4] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب، المصدر السابق، ص 129.

أما عن قضية الطلاق، فقد دعا الزوجين إلى عدم التعجيل في الإقدام عليه، كما دعا الأهل والأقارب إلى التدخل للإصلاح بينهما لقوله تعالى: ((وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهلها أن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا))[1]، وذكر بأن المصلح بين الزوجين ينال أجرا عظيما.

كما تحدث على ظاهرة خروج المرأة مكشوفة الوجه، ولم يعتبر ذلك خروجا عن الدين، كما قال أنّ التشدد في الحجاب الزائد على المرأة وإقعادها في المنزل، قد يكون مضرا بصحتها الجسمية النفسية.

وعن موضوع الخطوبة ركز ابن الخوجة على ضرورة رؤية الخاطب لخطيبته لان الشرع قد أباح له ذلك، فالكثير من حالات الطلاق تحدث لان الزوجين لم يتعرفا على بعضهما في فترة الخطوبة، وقد تطرق أيضا إلى موضوع خروج المرأة وهي متزينة، واعتبر هذا الفعل غير لائق بل عده حراما[2] مصداقا لقوله تعالى: ((ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى))[3].

وفي حديثه عن الطلاق بقول انه مباح شرعا عند استحالة عيش الزوجين مع بعضهما مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرم عليها رائحة الجنة"[4].

---

[1] سورة النساء، الآية 35 .

[2] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر السابق، ص 32.

[3] سورة الأحزاب، الآية 32 .

[4] حديث صحيح متفق عليه أخرجه الإمام احمد وأبو داود والترميذي، وابن ماجة وابن حيان.

وقد بغض الطلاق لما فيه من مفاسد وإيذاء خاصة للمرأة، وقد أحله للضرورة فقط كخيانة المرأة لزوجها، ومن شروط الطلاق أن يكون على طهر، وإذا طلق الرجل امرأته طلقة، أو طلقتين يمكنه إرجاعها بعد انقضاء العدة، أما إن طلقها ثلاث طلقات فلا تحل له إلا بنكاح رجل آخر، وإن حصل الطلاق بصفة لا رجعة فيه وجب على الرجل النفقة على طليقته " وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن"[1].

–وليعالج جميع هذه المسائل ولتفادي الوقوع في الخطأ وضع أو شدد المصطلح على ضرورة الاهتمام بعلم الدين المرادف للتمدن، إذ هو خير سبيل لتحقيق الرضا، والذي يتمثل كما تدل عليه الصورة التاريخية للإسلام في العلم والفتح المبين والعمران والتمدن.[2]

إنّ موضوع المرأة كان من المواضيع الحساسة التي تصدرت قمة اهتمامات الشيخ محمد الخوجة، باعتبارها المدرسة التي تتخرج على أيديها الأجيال القادمة والتي عوّل عليها الشيخ لإخراج الجزائر من واقع يسوده الظلم والجهل وهضم لحقوق المرأة إلى واقع أفضل تسوده المساواة والتقدم والرقي.

أما في خاتمته أورد فضل العلم، ودعا في هذا الكتاب إلى تعليم المرأة، فلقد كان ابن الخوجة من بين العلماء الذين حملوا على عاتقهم مهمة كتابة النصوص باللغة العربية، وإيصال مشعل العلم إلى الأجيال القادمة، فاهتم أيما عناية بالعلم والتعلم، وأجمل أهمية العلم في جملة واحدة، مفادها أنه العنصر المهم الذي يميز الإنسان عن الحيوان والجماد، وسموا به

[1] سورة الطلاق، الآية 6 .

[2] المصدر نفسه، ص60.

إلى مرتبة الإنسانية، فالعلم على حد قوله: يدل على حدة ذهن صاحبه وسعة عقله، ونفوذ بصيرته، وصفاء جوهره وسلامة ذوقه ورقة طبعه...[1]

وفي مقارنة له بين العالم والجاهل يرى: أن الإنسان إنسان بالقوة إذ لم يعلم ولم يجهل مركبا، فإذا علم كان إنسانا بالفعل أو جهل جهلا مركبا كان حيوانا بل أسوأ منه لفقدان آلة التخيل، وعلى حد قوله فان العلم يؤدي إلى سعادة الدارين وان السعادة في الآخرة لن تتحقق إلا بالعلم والعمل[2].

وقد استدل بعدة آيات وأحاديث نبوية عن أهمية العلم كقوله تعالى: ((شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم))[3]، وهنا تعجب من المكانة التي أولاها الله تعالى للعلماء، كيف لا وهو الذي بدأ باسمه، رغم ملائكته وثلث بأهل العلم، كما استدل بآيات أخرى لا تعد ولا تحصى نذكر من ضمنها: ((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون))[4]

وفيه نفي للمساواة بين العالم والجاهل لرفع مكانة العلم[5].

وقوله تعالى: ((وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمين))[6] فنفى أن يكون غير العالم العاقل، يعقل عن أمرا أو يفهم منه رجوا.

---

[1] المصدر نفسه، ص67.

[2] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب، المصدر السابق، ص 129.

[3] آل عمران، الآية 18 .

[4] سورة الرمز، الآية 9.

[5] المصدر نفسه، ص 70.

[6] سورة العنكبوت، الآية 4 .

أما عن الأحاديث النبوية التي استدل بها الكمال على أهمية العلم نذكر قوله صلى الله عليه وسلم: "إنّ العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه اخذ بحظ وافر من سلك طريقا يطلب للنشء وهو علم تهذيب الأخلاق وعلم الحلال والحرام وعلم الألفاظ المحظورة وأيضا علم البيع والشراء والنكاح وعلم التفسير والحديث والأصول والمنطق[1].

كما شجع المؤلف على تعلم اللغات الأجنبية لغرض نفع المسلمين وقد استدل بقوله صلى الله عليه وسلم: "من تعلم لسان قوم امن من مكرهم" .

بالإضافة إلى هذه العلوم نذكر علم الطب والحساب فأما الطب فلحفظ الأبدان والحساب فهو ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث والمبيعات لمعرفة اتجاه القبلة وأوقات العبادات، ويجب أيضا الاطلاع على أصول الصنائع كالزراعة والحياكة والخياطة والتجارة والصناعة[2].

كما ذكر أهم العلوم التي برع فيها العرب نذكر منها على سبيل المثال: علم الحساب والجبر والهندسة والبيطرة والجراحة والصيدلة والكيمياء وغيرها، وقد انتقل إلى الواقع المزري الذي كانت تعيشه النساء اللواتي كان الجهل يسيطر عليهن، ودعاهن للتعلم وطلب العلم والاقتداء بالسلف الصالح على غرار نساء عصر منهن الشفاء بنت عبد الله[3].

[1] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، المصدر نفسه، ص 76.

[2] المصدر نفسه، ص 79.

[3] المصدر نفسه، ص 80.

كما دعا الرجال إلى عدم ظلم النساء وتعليمهن وجعلهن يتفقهن في أمور دينهن، قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم نارا))[1]، فقد أثبت التاريخ أن نساء السلف الصالح قد تبوأن مكانة مرموقة على غرار السيدة عائشة وفاطمة الزهراء، وغيرهن.

وفي الصفحات الأخيرة من الكتاب ذكر فهارس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والمصادر والمراجع التي اعتمد عليها وأخيرا الفهرس العام.

نستخلص من خلال مباحث هدا الفصل ان العلامة محمد بن مصطفى ابن الخوجة قد خدم خدمات جليلة للشعب الجزائري، إذ تناول مجموعة من القضايا الحساسة، التي تهم الفرد الجزائري،حيث تطرق إلى موضوع العلم والتعلم، ودعا إلى تحصيله بشتى الطرق، ثم تناول قضية المرأة باعتبارها عصب الحياة الاجتماعية حيث دعا الي التمعن والالتفات الي حقوقها من خلال كتابه الاكتراث بحقوق الاناث، كما تناول مسألة الصحة بإسهاب كبير، كما أولى عناية فائقة لموضوع الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وحارب البدع والخرافات بدلائل قاطعة استقاها من القرآن والحديث الشريف.

[1] سورة التحريم، الآية 6.

خـاتـمـة

بعد إتمام هذا البحث بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، تم التوصل إلى النتائج التالية:

-ظهور الاستشراق كان نتيجة لعدة دوافع أهمها الدافع الديني.

-أثار المستشرقون شبهات حول قضايا المرأة المسلمة، فنادوا بحريتها ومساواتها مع الرجل في جميع الحقوق والواجبات، فطالبوا المرأة بخروجها من بيتها لتعمل وتختلط بالرجال مدعين أن الاختلاط يهذب الأخلاق، فتأثرت المرأة بذلك فخرجت سافرة كاسية، عارية، مقلدة للمرأة الغربية ضانة بذلك أنها ستنال حريتها، ولكن ثبت زيف هذه الادعاءات، إن الهدف منها إفساد المرأة وتدمير القيم الإسلامية.

-الظاهر أن ابن خوجة كان ذكيا في اختيار القضايا التي عالجها في إصلاحاته، إذ انتقى المواضيع الحساسة والتي كانت تهم المجتمع المسلم، إذ تصدرت قضية المرأة هرم انشغالاته باعتبارها العصب الحساس في أي مجتمع، وقدم نصائح وإرشادات للاعتناء بها ومن ابرز هذه النصائح دعا إلى الاهتمام بتعليمها لأنه في رأيه العلم هو كسبيل للخروج من واقع الجهل والتخلف، والملفت للنظر انه قد دعم أرائه بحجج وبراهين قاطعة استوحاها من القرآن الكريم والحديث الشريف.

-تتفق اغلب الدراسات أن الشيخ الكمال كان من أشد الغيورين على الدين الإسلام، إذ دافع وبلهجة حادة عن العقيدة الإسلامية، وتصدى لكل متهكم عن الدين الإسلامي، كما دعا إلى العودة إلى تعاليم الإسلام الصحيحة.

-بالمقارنة بين وضع المرأة المسلمة في المجتمعات غير الإسلامية (القديمة والمعاصرة) والمجتمعات الإسلامية، تبين أن الإسلام هو الوحيد الذي أكرم المرأة وعزز مكانتها وأعطاها حقوقها كاملة غير منقوصة، وبما يتناسب مع فترتها الطبيعية.

سخر الله دعاة الإسلام من العلماء المسلمين، والباحثين والباحثات لتفنيد هذه الشبوهات والرد عليها بأسلوب علمي، مقنع بالأدلة النقلية والعقلية، وكاشف لأساليب الأعداء، وطرقه الخبيثة، لإفساد نساء المسلمين وبينت أن التحرير الحقيقي للمرأة بالتزامها بتعاليم دينها الإسلامي، وان طهارتها وعفتها في حجابها.

وختاما، فان هذا العمل قد استغرق وقتا وجهدا كبيرا، ومع ذلك فهو لا يمثل سوى نقطة من بحر هذا الموضوع المترامي الأطراف، والذي لا يمكن حصره أو الإلمام بكل جوانبه وعليه يبقى الباب مفتوح أمام الدارسين والباحثين لتناوله من جديد.

قـائمـة المصـــادر والمـراجـــع

-القرآن الكريم.

-**المصـادر:**

1) محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، فنتانة، الجزائر، 1895.

2) محمد بن مصطفى ابن الخوجة، اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب، تج: محمد شايب شريف، ط 1، دار ابن حزم، بيروت، 2003.

-**المراجع:**

1) ابراهيم محمد الجمل، زوجات النبي وأسرار الحكمة في تعددهن، دار التوثيق النموذجية، القاهرة، د.س.

2) ابو زيد، منهجية الخطة وإطارها المرجعي، ط 1، باريس، الرباط، 1999.

3) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط 1، دار النهضة، مصر، د.س.

4) أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة ،1998.

5) أحمد شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، القاهرة، 1988.

6) أحمد السحمراني، المرأة في التاريخ والشريعة، د.ط، دار النفائس، بيروت – لبنان، 1989.

7) اندرو مانجو، أتاتورك السيرة الذاتية لمؤسس تركية الحديثة، تر: عمر سعيد الأيوبي، ط 1، دائرة الثقافة والسياحة، 2014.

8) اوبسيوف، أصول علم الاجتماع، تر: سليم توما، د.ط، دار التقدم، موسكو،1990.

9) جاك ريسلر، الحضارة العربية، تر: غنيم عبدون، مراجعة: دكتور، احمد فؤاد الاهواني، الدار المصرية، القاهرة، د.س.

10) حسن محمد يوسف، أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة، بناء الأسرة، سلسلة 1، دار الاعتصام، القاهرة، 1977.

11) حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تج: محمد العربي الزبيري، ب.ط، 2005.

12) خالد عبد الرحمان العكي، بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، ط 4، دلر المعرفة، لبنان، 2001.

13) روجيه غارودي، وعود الإسلام، تر: ذوقان قرقوط، ط 2، دار الرقي، بيروت، 1985.

14) رودي بارت، الدراسات الغربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، تر: مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2011.

15) زيغريد هونطه، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، دار الجيل، ط 8، بيروت، د.س.

16) سعاد صالح، الأسرة العربية في وجه التحديات والمتغيرات المعاصرة، ط 1، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، 2003.

17) ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.

18) سنن ابن ماجة، دار الفكر، الرياض.

19) سنن أبي داوود، ط 2، دار الفكر، الرياض، 2000.

20) سنن الترميذي، ط 2، دار الفكر، الرياض، 2002.

21) صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1421 هـ – 2001 م.

22) صحيح البخاري بن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار الفكر.

23) صلاح الدين محمود سعيد، زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ج 1، دار البيان العربي، د.م.ن، 2006.

24) صحيح مسلم، دار احياء التراث العربي، بيروت.

25) عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، اجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ط 8، دار العلم، دمشق، 2000.

26) عبد الرحمان الصابوني، نظام الأسرة لحل مشكلاتها في ضوء الإسلام، ط 1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2001.

27) عرفات كامل لعشي، رجال ونساء اسلموا، د.ط، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 2011.

28) علي تابليث، أعمال محمد بن مصطفى ابن الخوجة، منشورات ثالثة، الجزائر، 2012.

29) علي الخربطولي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د.ط، القاهرة، جمعية الدراسات الإسلامية، 1988.

30) علي محمد جريشة، محمد شريف الزبيق، أساليب الغزو الفكري، ط 1،القاهرة، دار الاعتصام، 1977.

31) عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ط 1، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1992.

32) عمار طالبي، آثار بن باديس، م 1، ط 1، د.د.ن، 1968.

33) غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، ط 3، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1956.

34) فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998.

35) قاسم أمين، المرأة الجديدة، د.ط، دار البجمانين، مصر،1911.

36) الكتاب المقدس.

37) مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط 1، دار الإرشاد، بيروت، 1969.

38) محمد بن سعيد الرحاني، الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم، ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، السعودية.

39) محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث، ط 6، دار المعارف، القاهرة.

40) محمد علي الصابوني، شبهات وأباطيل تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم.

41) محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ط 1، دار الآفاق، بيروت، 1980.

42) محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، 2012.

43) محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه وسائله، دار قتيبة، بيروت، د.س.

44) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط 2، دار المنار، القاهرة، 1989.

45) مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ط 4، دار الوراق، القاهرة، 2010.

46) مصطفى كمال أتاتورك، الرجل الصنم، تر: عبد الله عبد الرحمن، ط 1، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 2013.

47) مونتغمري وات، محمد في مكة، تر: عبد الله الشيخ, الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994.

48) مونتغمري وات، محمد في المدينة، تعريب: شعبان بركات، منشورات المكتبة المصرية، بيروت، د.س.

49) يوسف المرعشلي، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، ط 1، دار المعرفة، بيروت، 2006.

المعاجم:

1) انور محمود زناتي، معجم افتراءات الغرب على الاسلام.

2) سهيل ادريس، جبور عبد النور، المنهل، دار العلم للملايين، بيروت، 1983.

3) محمد محمد داود، المعجم الوسيط واستدراكات المستشرقين، ط 1، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007.

الموسوعات:

1) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط 3، بيروت،1993.

2) مانع ابن حامد الجهنى، الموسوعة المسيرة في الأديان.

الدراسات السابقة:

1) بختة هجوج، رزيقة محارزي، قضايا الإصلاح لشيخ محمد ابن الخوجة (1865 – 1915)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: اوفة سليم، جامعة الجيلاني بونعامة خميس مليانة،2016.

2) رزيقة حاج فطيمة، "المرأة العربية في اتهامات المصريين والتونسيين خلال القرن التاسع عشر والعشرين، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص حديث ومعاصر، إشراف: محمد طيبي، جامعة يحي فارس ،المدية، 2015 – 2016.

3) صفا عوني حسين عاشور، قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري، بحث الماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، 2005.

المجلات:

1) على لونيس، متيجة في الزمن المعاصر، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، العدد 06، الجزائر، ديسمبر 2016.

2) محمد خروبات، الأسرة المسلمة في معركة القيم، مجلة البيان، العدد 194.

فهرس الموضوعات

إهداء
شكر وعرفان
مقدمة---------- أ-هـ

فصل تمهيدي: مكانة المرأة

تمهيد---------- 09
المبحث الأول: مكانة المرأة عند الغرب---------- 10
المطلب الأول: المرأة عند اليهود والنصارى---------- 10
أولا: المرأة عند اليهود---------- 10
ثانيا: المرأة عند النصارى---------- 13
المطلب الثاني: المرأة في العصور الوسطى والعصر الحديث---------- 16
أولا: مكانة المرأة في العصور الوسطى---------- 16
ثانيا: مكانة المرأة في العصر الحديث.---------- 18
المبحث الثاني: مكانة المرأة في الإسلام---------- 24
المطلب الأول: مكانة المرأة في القران والسنة---------- 25
أولا: إنسانية المرأة ---------- 25
ثانيا: مسؤولية المرأة---------- 26
ثالثا: تبرئة المرأة من بعض التهم الملصقة بها---------- 27
رابعا: أهلية المرأة ---------- 27
خامسا: تحرير المرأة من مظالم الجاهلية---------- 29
سادسا: إكرام المرأة بنتا وزوجا وأما---------- 30
سابعا: تعليم المرأة---------- 32
ثامنا: توريث المرأة---------- 32
تاسعا: تنظيم حقوق الزوجين---------- 33

عاشرا: تقييد الطلاق---------- 34
حادي عشر: تحديد التعدد للزوجات---------- 34
ثاني عشر: حق العمل---------- 34
المطلب الثاني: مكانة المرأة في الحياة الإسلامية المعاصرة---------- 36

الفصل الأول: الاستشراق والمرأة المسلمة

تمهيد---------- 45
المبحث الأول: الإطار المعرفي والتاريخي للاستشراق---------- 46
المطلب الأول: مفهوم الشرق والاستشراق والمستشرق---------- 46
أولا: الشرق---------- 46
ثانيا: الاستشراق---------- 46
ثالثا: المستشرق---------- 51
المطلب الثاني: نشأة الاستشراق، تطوره، مقاصده ووسائله.---------- 53
أولا: نشأة الاستشراق وتطوره.---------- 53
ثانيا: مقاصده---------- 56
ثالثا: وسائله---------- 56
المبحث الثاني: المستشرقون والمرأة المسلمة---------- 58
تمهيد---------- 58
المطلب الأول: شبهات حول قضايا المرأة المسلمة والرد عليها---------- 59
أولا: قضية تعدد الزوجات---------- 59
ثانيا: قضية الحجاب---------- 68
ثالثا: قضية الشهادة---------- 74
رابعا: قضية الميراث---------- 75
خامسا: قضية الدية---------- 75
سادسا: قضية الطلاق---------- 77
المطلب الثاني: نماذج من المستشرقين المهتمين بقضايا المرأة.---------- 80

الفصل الثاني: قراءة في كتاب الاكتراث بحقوق الاناث لمحمد بن مصطفى ابن الخوجة الجزائري

تمهيد:---------- 89
المبحث الأول: شخصية محمد ابن مصطفى ابن الخوجة، قضاياه واهتماماته -- 90
المطلب الأول: شخصية ابن الخوجة- النشأة والتكوين- (1865-1915)--- 90
أولا: مولده---------- 90
ثانيا: نشأته---------- 91
ثالثا: تكوينه والعوامل المؤثرة فيه---------- 93
المطلب الثاني: التآليف العلمية---------- 97
أولا: مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة---------- 98
ثانيا: إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني عن الإسلام---------- 100
ثالثا: اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب---------- 103
رابعا: عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي في الجزائر---------- 104
خامسا: رسالة في علم الحديث ---------- 105
سادسا: تنوير الأذهان في الحث على التحرز وحفظ الأبدان---------- 107
المطلب الثالث: اهتمامات ابن الخوجة، وقضاياه---------- 108
أولا: المرأة---------- 108
ثانيا: الدفاع عن العقيدة الإسلامية---------- 109
ثالثا: الصحة---------- 115
رابعا: محاربة البدع والخرافات---------- 118
خامسا:الاهتمام بالعلم---------- 120
المبحث الثاني: التحليل الاستقرائي لكتاب الاكتراث بحقوق الإناث----- 124
الخاتمة---------- 139

المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات.

فهرس الموضوعات

ملخص:

ولد محمد بن مصطفى ابن الخوجة سنة 1865 بمدينة الجزائر، ترعرع وسط عائلة دينية وبيئة اجتماعية، فساهمت في تكوينه جملة من العوامل والمؤثرات الداخلية محلية ووافدة خارجية، حيث اعتمد في منظومته الإصلاحية على مجموعة من الوسائل ومرتكزات مختلفة أهمها التأليف إذ خلف تراثا علميا عريقا، كما ارتكز على الكتابة الصحفية فعمل كمحرر في جريدة المبشر لكنه لم يستطع من خلالها إيصال أفكاره الإصلاحية لأنها كانت مراقبة من قبل الاستعمار الفرنسي، وبعد انسحابه من العمل الصحفي التحق بالتعليم بمسجد السفير، ومن ابرز القضايا التي عالجها ابن الخوجة نجد في طليعتها قضية المرأة والصحة، كما كان له اهتمام بالعلم واستطاع الدفاع عن العقيدة الإسلامية ومحاربة البدع والخرافات، توفي محمد بن مصطفى ابن الخوجة عام 1915 ودفن بمقبرة الحامة.